سلسلة كتيبات شبكة بينونة

فتح العزيز الحميد

بشرح نظم

جوهرة التوحيد

(للعلامة أحمد بن مشرف المالكي)

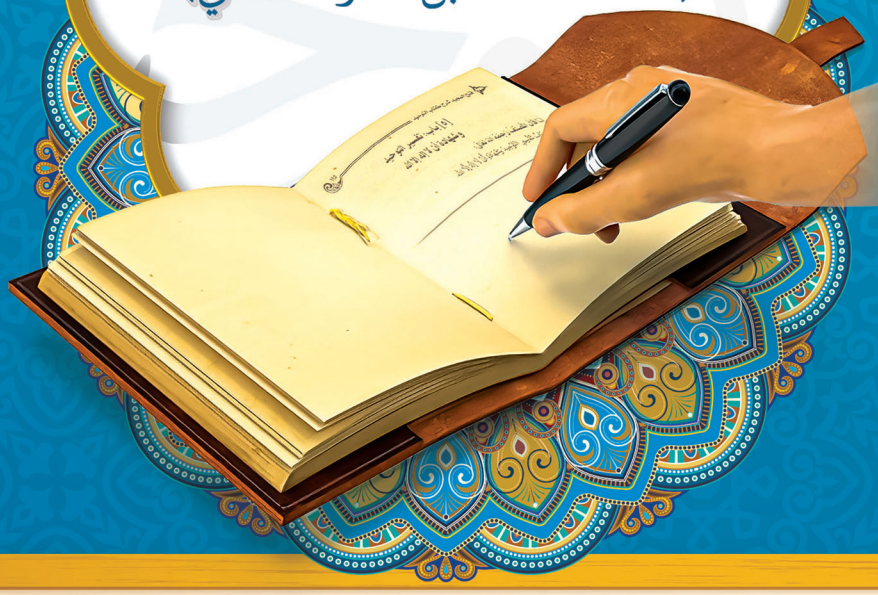

د. أحمد بن مبارك بن قنزلان المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

مُقَدِّمَة

الحمد لله الواحد الفرد الصمد، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أفضل من عبد الله الواحد الأحد، فاللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الموعد.

أما بعد: فـ«اعلموا أرشدكم الله -تعالى- أنَّ «لا إله إلا الله» هي: العُروة الوثقى، ومَرْكب النّجاة، وسفينة نوح، من عدَلَ عنها هَلك، ومَن ركبها خلَص ونجا، وهي قطب الإسلام، وقاعدة الأديان، وما خُلق الجنُّ والإنس إلا ليعبدوه بها»[١].

وَلِأَهمِّيةِ التَّوحيدِ وعظيمِ فَضْله لم يَخلُ منه كتابُ ربِّنا، فَكُلُّ آيةٍ في القرآن مُتَضَمِّنَةٌ للتوحيد، شاهِدَةٌ به، داعِيَةٌ إليه «فإن القرآن: إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التَّوحيد العلمي الخبري، وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كلِّ ما يعبد من دونه فهو التَّوحيد الإرادي الطلبي، وإمَّا أمرٌ ونهيٌ وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التَّوحيد ومكملاته، وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدّنيا من النَّكال وما يَحِلُّ بهم في العقبى من العذاب فهو خبرٌ عمَّن خرج عن حكم التَّوحيد، فالقرآن كلُّه في التَّوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشِّرك وأهله وجزائهم»[٢].

وكذلك لم تخلُ السنة النبوية من بيان التَّوحيد وأهميته، بل زادته تقريرًا وتأصيلًا

---

[١] الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي (١١٤).

[٢] مدارج السالكين ابن القيم (٣/ ٤٦٨).

وتفصيلًا، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[١]، وفي رواية[٢]: «**على أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ**»، وفي رواية[٣]: «**عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ**».

وقد أدرك العلماء أن السنة بيَّنَتْ حقيقة التَّوحيد وفي هذا قال الإمام مالك ﷺ: «مُحالٌ أن نظنَّ بالنبي ﷺ أنَّه علَّم أمته الاستنجاء، ولم يُعَلِّمْهُمُ التَّوحِيدَ، والتَّوحيد ما قاله النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»[٤]، فما عُصِمَ بِهِ الدَّمُ والمالُ حقيقةُ التَّوحيدِ»[٥].

ولـمّا كَانَتْ أَدِلَّةُ التَّوحِيدِ في القرآنِ والسُنَّةِ ظَاهِرَةً دالَّةً علَى أَهَمِيَّتِهِ؛ اعْتَنَى العُلَمَاءُ بتقرير التَّوحيدِ، وبيانِ فَضْلِهِ، وأُصُولِه، وَوَاجبَاتِهِ، وَمُكَمِّلاَتِهِ جُمْلَةً وتَفْصِيلًا، ومن ذلك هذه المنظومة التي بين أيدينا (جوهرة التوحيد) التي لخصلت لنا معالمه وشرحت أُسسه، وسوف أتناول شرحها وتفصيل مسائلها، والله أسأل التوفيق والسداد والقبول إنه هو الكريم الجواد.

---

[١] رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

[٢] عند مسلم (١٦).

[٣] عند مسلم (١٦).

[٤] رواه البخاري (٣٩٢)، ومسلم (٢٠).

[٥] سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦).

مقدمة في المؤلِّف والمؤلَّف

أولًا: ترجمة المؤلِّف.

هو العلاّمة الفقيه الأديب الشاعر أحمد بن علي بن حسين بن مشرف التميمي المالكي، كان كفيف البصر من طفولته.

ولد بالأحساء في القرن الثاني عشر، في عهدٍ ازدهر فيه العلم، وانتشر فيه نور التوحيد، فأثرت فيه معالمه، وأنارت في الطريق مصابيحه؛ فأصبح مهتمًا بجانب الاعتقاد والتوحيد كما يظهر في نظمه.

تولى القضاء في الأحساء في آخر أيام الإمام فيصل بن تركي آل سعود.

إطلالة على قصائده:

١- نظم جوهرة التوحيد.

٢- نظم مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

٣- نظم: «الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية».

٤- نظم في شرف العلم وفضله.

٥- نظم في غربة الإسلام.

٦- منظومة في التاريخ مختصرة لطيفة.

٧- مختصر صحيح مسلم، وغيرها من قصائد المدح والثناء.

وقد جمعت قصائده في ديوان باسم ابن مشرف، وقد ضُمَّ فيه بعض القصائد، وهي على الراجح ليست له، منها:

أ- نغمة الأغاني في عشرة الإخوان.

ب- الدر المنثور في البعث والنشور.

ت- نونية القحطاني، وقد نص على أنها للقحطاني.

ث- مثلثة قطرب.

تمتاز منظوماته بالجزالة والقوة في تقرير الحق وردِّ الباطل، كما أنه يضمن الأبيات بعض الأدلة إما لفظًا أو إشارة.

توفي ﷺ بالأحساء سنة خمس وثمانين ومائتين وألف (١٢٨٥هـ).

ثانيًا: نبذة عن المؤلَّف.

جوهرة التوحيد، نظم على البحر الكامل، جمع فيه ناظمه أهم مسائل التوحيد بأقسامه الثلاثة: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، إلا أنه فصّل في توحيد الأسماء والصفات، وفي توحيد الألوهية تقريرًا له وبيانًا لضده من الشرك والتعطيل والتمثيل.

كما أنه اشتمل على باقي عقائد الإسلام من الإيمان بالملائكة والرسل والكتب والقدر واليوم الآخر واعتقاد فضل الصحابة.

أشار في النظم إلى جملةٍ من معجزات النبي ﷺ، وذكر الأئمة، وكبائر الذنوب وما يترتب عليها وقرر في ذلك عقيدة أهل السنة والجماعة مخالفًا لطريقة أهل البدعة والضلالة، فهو نظم بديع في سبكه مهم في تقريراته ومسائله لا سيما تفصيل توحيد الألوهية، لم يحض بكثير عناية وشرح، مع أهميته وعلو قدم مؤلفه.

قَالَ العَلاَّمَةُ ابن مشرف الأَحْسَائي ﵀ فِي مَنْظُومَتِه «جَوْهَرَة التَّوحِيد»:

١- الحَمْـدُ لله الإِلَـهِ الوَاحِدِ	المُتَعَالِـي شَـأْنُهُ عَـنْ وَالِـدِ
٢- فَلَمْ يَلْـدْ- جَلَّ -وَلَمْ يُولَدْ وَلاَ	كُفْـوًا لَـهُ، فَجَـلَّ شَـأْنًا وَعَلاَ
٣- ثُمَّ الصَّـلاَةُ وَالسَّـلاَمُ سَـرْمَدَا	عَلى الَّذِي أَوْضَحَ مِنْهَاجَ الهُدَى
٤- مُحَمَّـدِ المَبْعُـوثِ بِالإِيمَـانِ	حِيـنَ طَغَـتْ عِبَـادَةُ الأَوْثَـانِ
٥- فَأَرْشَـدَ النَّـاسَ إِلَـى التَّوْحِيدِ	بِسَـيْفِهِ وَقَوْلِـهِ السَّـدِيدِ
٦- صَلَّـى عَلَيـهِ الله ثُـمَّ سَـلَّمَا	مُضَاعِفًـا رَحْمَتَـهُ مُعَظِّمَـا
٧- وَالآلِ وَالأَزْوَاجِ وَالأَصْحَـابِ	مَـا هَمَلَ الوَدْقُ مِنَ السَّـحَابِ
٨- وَبَعْـدُ، فَالأَهَـمُّ بِالعِرْفَـانِ	مِـنْ دِينِنَـا عَقِيـدَةُ الإِيمَـانِ
٩- لِأَنَّهَـا فَـرْضٌ عَلـى المُكَلَّـفِ	وَلْيَتَّبِـعْ فِيهَـا سَـبِيلَ السَّـلَفِ
١٠- أَكْرِمْ بِهِ فِي الدِّينِ مِنْ سَـبِيلِ	خَالٍ مِـنَ التَّحْرِيـفِ وَالتَّبْدِيلِ
١١- لَكِنَّـهُ مُنْـدَرِسٌ، وَقَـدْ عَـدَلْ	سَعْيُ الوَرَى عَنْ نَهْجِهِ غَيْرَ الأَقَلّْ
١٢- مِنْ أَجْـلِ ذَا أَحْبَبْتُ أَنْ أُؤَلِفَا	فِيـهِ كِتَابًـا مُوجَـزًا كَـيْ يُعْرَفَا
١٣- فَاخْتَرْتُ نَظْمَـهُ لِكَوْنِ النَّظْمِ	أَقْـرَبَ لِلْفَهْمِ وَضَبْـطِ الحُكْمِ

الشَّرح

أولًا: المفردات الغريبة:

١- **سرمدًا**: السرمد دوام الزمان من ليل ونهار.

٢- **منهاج**: الطريق الواضح.

٣- **الهدى**: الدين المشتمل على العلم والعمل.

٣- **الأوثان**: جمع، ومفرده: وثن، وهو ما نصب للعبادة، وهو أعمُّ من الصنم، فالصنم هو التمثال الذي يُعبد.

٤- **همل الودق**: صب المطر سريعًا.

٥- **عقيدة الإيمان**: العقيدة من «عقد»، يدل على شدٍّ وشدِّة وثوق.

وهي في الاصطلاح: الحكم الذهن الجازم الموافق لما عليه الكتاب والسنة على فهم الصحابة.

٦- **المكلف**: هو البالغ العاقل.

٧- **السلف**: وهو من سلفك وسبقك، وفي الاصطلاح: هم الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

٨- **التحريف**: هو التغيير والعدول عن الشيء، وهو تحريف النص لفظًا أو معنًى، والثاني هو الأغلب.

٩- **التبديل**: هو التغيير للشيء ووضعُه في غيرِ مكَانَه.

١٠- **اندرست**: من درس الشيء إذا خفي وانخفض.

ثانيا: المعنى الإجمالي للأبيات:

ابتدأ الناظم قصيدته بمقدمة استهلالية مناسبة للموضوع، فحمد الله وأثنى عليه بأنه هو الإله الواحد المتعالي، لم يلد ولم يولد جلّ في شأنه وتعالى جِدُّهُ، ثم صلى على النبي ﷺ صلاةً دائمةً سرمديةً مُنوِّهًا على توضيح النبي ﷺ لطريق الهدى وهو الدين، وأنه مبعوث بالإيمان حين انتشرت عبادة الأوثان، فأرشد الناس إلى توحيد الله تعالى بقوله أولًا، ثم لما هاجر قاتل من لم يقل لا إله إلا الله، ثم ثنى بالصلاة على آله وأزواجه رضي الله عنهن وأصحابه رضي الله عنهم قدر ما انهمل ماء مطر من السحاب.

ثم بين أن أهم واجباتِ الدين معرفةً هو الإيمان عقيدة؛ لأنه أول فرض على المكلف، ونبه أن الواجب في معرفة ذلك هو سلوك طريقة السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم؛ لأن طريقهم في الدين أقوم طريق أمر الله بها؛ إذ هو طريق خالٍ من الانحرافات والتبديلات، إلا أنّ معالم التوحيد قد اندرست وانخفضت وخفيت على كثير من الناس مع توضيح القرآن له، وتبيين النبي ﷺ لأصوله وأركانه، والتعريف بضده تعريفًا واضحًا متضافرًا، ما أثار قريحة المؤلف لنظم هذه القصيدة الموجزة الجزلة الشاملة لأهم مسائله، وكان سبب اختيار النظم على النثر أنّ النظم يقرب الفهم ويسهل حفظه فيضبط حكمه وأصوله.

ثالثًا: المسائل المتعلقة بالأبيات:

المسألة الأولى: وجوب تعلم عقيدة الإيمان والتوحيد والعمل بها.

العقيدة الإيمانية القائمة على أصول الإيمان والدين واجب تعلمها، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: ١٩]، وقال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[١]، وأهم العلم علم العقائد وأصول الدين.

---

[١] رواه ابن ماجه (٢٢٤)، وصححه الألباني.

قال ابن عبد البر ﷺ: «قَد أجمع العلماء على أنّ من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع، واختلفوا في تلخيص ذلك، والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأنّ الله وحده لا شريك له». وذكر جملة من العقائد[١].

ونصَّ القيراوني ﷺ في الرسالة على ذلك، فقال: «واجب أمور الديانات»[٢].

قال ابن مشرف ﷺ في نظمه لمقدّمة الرسالة:

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ لَم يَظْفَرْ بِهِ أَحَدٌ ... إلا سَما وَبَأَسْبابِ الْعُلا ظَفِرَا

لا سِيَّما أَصْلُ عِلْمِ الدِّينِ إِنَّ بِهِ ... سَعادَةَ الْعَبْدِ وَالمَنْجَى إذا حُشِرَا[٣]

ومرجعُ هذه العقيدة الإيمانية لحديث جبريل ﷺ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٤].

قال ابن القيم ﷺ: «إنَّ القرآنَ والإيمانَ هما نورٌ يجعلُه الله في قلب من يشاءُ من عباده، وأنهما أصلُ كلِّ خير في الدنيا والآخرة، وعلمُهما أجلُّ العلوم وأفضلُها، بل لا علمَ في الحقيقة ينفعُ صاحبه إلا علمُهما»[٥]، وأجل علومها علم العقائد والتوحيد.

---

[١] جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦). وينظر: الجامع لأخلاق الراوي والسامع (٢/ ٢٢٥٨)، والذخيرة (١/ ١٤٣).

[٢] (ص ٩).

[٣] نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني (البيتان ٥و٦).

[٤] رواه مسلم (٨).

[٥] مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٩).

المسألة الثانية: بيان القرآن والسنة للتوحيد بيانًا واضحًا.

قد بين القرآن وبينت السنة التوحيد بيانًا واضحًا شافيًا حتى كان أكثر القرآن في بيان التوحيد، فالقرآن إما مخبرٌ عن الله بأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما يدعو إلى عبادة الله وحده، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما ينهى عن الشرك بأنواعه، فهو تحذير مما ينافي التوحيد، وإما أمرٌ بطاعة ونهيٌ عن معصية، وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما يخبر عن أهل الطاعة وما وأعد لهم في الجنات، فهو إخبار عن أهل التوحيد، وإما يخبر عن أهل الشرك، وما أعده لهم في النار، فهو إخبار عن من خالف التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه[١].

ويظهر ذلك جليًا فيما يلي:

أولًا: أنّ الله ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، والعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

ثانيًا: أنّ الله أرسل الرسل لتحقيق أصل التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

ثالثًا: أنّ القرآن والسنة يبدآن به غالبًا، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» الحديث[٢]، وفي رواية: «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا الله**»[٣]، وفي رواية: «**عَلَى أَنْ يَعْبُدَ اللهَ وَيَكْفُرَ بِمَا دُونَهُ**»[٤].

---

[١] ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٤٦٨).

[٢] رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

[٣] رواه البخاري (٦٩٣٧).

[٤] رواه مسلم (١٦).

وقد أدرك العلماء ذلك، فقد قال الإمام مالك ﷺ كلمة عظيمة في هذا الشأن، فقال: «محال أن نظن بالنبي ﷺ أنّه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد»[١].

المسألة الثالثة: أسباب انحراف كثير من الناس في حقيقة التوحيد وسبب اندراسه.

التوحيد ألطف شيء وأنزهه وأصفاه، فأدنى شيء يؤثر فيه ويدنِّسه، والشيطان أحرص ما يكون على انحراف الناس فيه؛ ولهذا كان القرآن والسنة يؤكدان ويقرران التوحيد دائمًا، ولو لم يكن كذلك لما خاف إمام الموحدين إبراهيم ﷺ على نفسه وذريته من الانحراف فيه، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[إبراهيم: ٣٥ – ٣٦]، وقال رسول الله ﷺ: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»[٢].

وسبب الانحراف في التوحيد أصله الجهل ثم الشيطان ودعاة البدع والضلالة، والغلو في الصالحين والصور ووسائل الشرك، ويدل على ذلك ما قاله ابن عباس ﷺ: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى

---

[١] ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٢٦).

[٢] رواه مسلم (٢٨٦٥).

مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[١].

فالانحراف الواقع في التوحيد هو الانحراف في توحيد العبادة لا في توحيد الربوبية إلا عند نزرٍ، ثم وقع الانحراف في توحيد الأسماء والصفات عند الفرق المنحرفة كما سيأتي -بإذن الله- في ثنايا النظم.

وهنا يدندن بعض الناس حول شبهة وهي أنّ الشرك في العبادة لا يقع في هذه الأمة، واستدلوا بقوله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا»[٢]، والجواب على هذا من عدة وجوه:

الأول: إنّ النبي ﷺ أخبر عن يأس الشيطان، وهذا لا يدل على عدم الوقوع، فقد يقع على خلاف ما توقعه الشيطان.

الثاني: أنّ هذا اليأس منه ما دامت الأمة متمسكة بدينها، ففي لفظ: «أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ»[٣].

الثالث: أنّ الحديث مخبرٌ على قولكم بعدم وقوع الشرك في جزيرة العرب لا في جميع الأمة.

الرابع: أنّ الحديث فيه اليأس من عبادته هو بنفسه لا عبادة غيره.

الخامس: أنّ النبي ﷺ أخبر قبل موته وحذر من عدم اتخاذ القبور مساجد كما تفعله اليهود والنصارى، وأخبر أنّ من الأمة من يتشبه بهم.

---

[١] رواه البخاري (٤٩٢٠).

[٢] رواه ابن ماجه (٣٠٥٥)، وصححه الألباني.

[٣] رواه مسلم (٢٨١٢).

السادس: أخبر النبي ﷺ أنه لا تقوم الساعة حتى تُعبَد الأصنام، قال ﷺ: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ... وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ**»[١]، وقال ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ**»[٢]، وذو الخلصة ما كان يعبده دوس في الجاهلية.

فيكون معنى الحديث: أن الشيطان أيس أن يجتمعوا جميعًا على الكفر، أو أن يكون في كلِّ زمان على الكفر، لا أن الشرك لا يقع في الأمة، كيف ونحن نراه وقع ويقع!

وإنما جاءت هذه الشبهة من أصلٍ فاسد عندهم، وهو أن التوحيد هو توحيد الربوبية لا الألوهية، فعدم التفريق بين التوحيد كان أصلاً لكثيرٍ من الانحرافات في التوحيد.

المسألة الرابعة: وجوب التمسك بما كان عليه السلف الصالح.

هذا الأصل مهم، وهو من أصول منهج الاستدلال، فالسلامة فيه سلامةٌ من الانحرافات في أبواب الدين، والخلل فيه خللٌ في أبواب الدين.

ولهذا أمر الله في كتابه في سورة الفاتحة أن تقرأ في كل ركعة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[الفاتحة: ٦ – ٧]، والمنعم عليهم هم من جاء تفسيرهم في سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾[النساء: ٦٩].

ولهذا توعد الله من يخالف سبيلهم فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

---

[١] رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وصححه الألباني.

[٢] رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

كان مالك ﷺ يفسر هذه الآية بقول عمر بن عبد العزيز ﷺ: «سن رسول الله ﷺ وولاة أمره من بعده سننا، الآخذ بها تصديقًا لكتاب الله واستكمالاً لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحدٍ تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، من اقتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[١].

وسبيلهم هو دينهم وطريقهم ومنهجهم، كما في تفسير ابن أبي زمنين[٢]، والمحرّر لابن عطية[٣].

فالآية دليلٌ واضح على اتباع سبيلهم؛ لأن ثبوت الوعيد على المخالفة يدل على وجوب المتابعة كما قرره القرافي ﷺ في الذخيرة[٤].

وإنما أمر الله باتباع سبيلهم؛ لأن كل سبيل غيره سبيل هوى وهلاك، كما قال الرسول ﷺ: **«تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ فِرْقَةً وَاحِدَةً، قيل: يَا رَسُولَ الله مَنْهم؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ»**[٥]، وفي رواية: **«مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَليه اليَوم وَأَصْحَابي»**[٦].

قال ابن أبي زيد ﷺ: «وفي اتباع السلف الصالح النجاة، وهم القدوة في تأويل ما تأولوه، واستخراج ما استنبطوه»[٧].

---

[١] مرويات مالك في التفسير (ص ١٢١).

[٢] (١/ ١٧٦).

[٣] (٤/ ٢٢٧).

[٤] (١/ ١١٤).

[٥] رواه أبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وصححه الألباني.

[٦] رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٦٥٩).

[٧] الرسالة (ص ٢٨٩).

وهذا طريق السلف

فَـإِنِ اتَّبَعْـتَ سَـبِيلَهُمْ فَمُوَفَّـقٌ وَإِنِ ابْتَدَعْـتَ فَمَـا عَلَيْـكَ مُعَوَّلُ[١]

وهذا يجعلنا نتذكر أمرًا مهمًّا وهو عدم الاغترار بكثرة الباطل، فالعبرة ليست بكثرة الخلق وإنما بلزوم الحق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطَ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ، وَالرَّجُلَيْنِ وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»[٢].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لا تستوحش من الحق لقلّة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين»[٣].

---

[١] المنظومة اللامية لابن تيمية (البيت ١٦).

[٢] رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

[٣] ينظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ١٣٦).

بَابٌ فِي الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ والإِحْسَانِ

١٤- إِيمَانُنَا قَوْلٌ وَقَصْدٌ وَعَمَلْ ... إِنْ وَافَقَ الشَّرْعَ بِهِ نَيْلُ الأَمَلْ

١٥- وَالزَّيْدُ وَالنُّقْصَانُ لِلْإِيمَانِ ... يَعْرِضُ بِالطَّاعَةِ وَالعِصْيَانِ

١٦- اِعْلَمْ بِأَنَّ الدِّينَ مَبْنِيٌّ عَلَى ... خَمْسِ دَعَائِمَ كَمَا قَدْ نُقِلاَ

١٧- وَهْيَ: الشَّهَادَتَانِ، وَالصَّلاَةُ ... وَالحَجُّ، وَالصِّيَامُ، وَالزَّكَاةُ

١٨- فَشَرْحُهُ: عَقِيدَةُ الجَنَانِ ... وَالنُّطْقُ وَالخِدْمَةُ بِالأَرْكَانِ

١٩- ثُمَّ إِذَا نَظَرْتَ بِالإِمْعَانِ ... وَجَدْتَهُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ

٢٠- وَفَسَّرَ الإِيمَانَ خَيْرُ مُرْسَلِ ... بِأَنَّهُ الإِيمَانُ بِاللهِ العَلِي

٢١- وَبِالْمَلاَئِكِ العُلَى، وَرُسْلِهِ ... وَالبَعْثِ، وَالمَقْدُورِ أَيْضًا كُلِّهِ

٢٢- فَالخَيْرُ وَالشَّرُّ جَمِيعُهُ صَدَرْ ... مِنْ أَمْرِ رَبِّنَا، وَذَا هُوَ القَدَرْ

٢٣- وَفَسَّرَ الإِحْسَانَ سَيِّدُ الوَرَى: ... أَنْ يُعْبَدَ اللهَ كَأَنَّهُ يُرَى

٢٤- فَالْعَبْدُ إِنْ لَمْ يَرَهُ فَاللهُ ... جَلَّ - قَرِيبٌ شَاهِدٌ يَرَاهُ

٢٥- هَذَا هُوَ الدِّينُ، فَمَنْ قَدْ عَرَفَهْ ... مُحَقِّقًا كَفَتْهُ تِلْكَ المَعْرِفَهْ

٢٦- بُرْهَانُهُ: سُؤَالُ جَبْرَائِيلاَ ... عَنْ ذِي الخِصَالِ كُلِّهَا الرَّسُولاَ

٢٧- وَقَدْ أَجَابَهُ النَّبِيُّ المُصْطَفَى ... بِمَا ذَكَرْنَا شَرْحَهُ، وَقَدْ شَفَى

٢٨- وَقَالَ مَا مَعْنَاهُ: ذَا الأَمِينُ ... أَوْضَحَ دِينَكُمْ، فَهَذَا الدِّينُ

الشرح

أولًا: شرح غريب الألفاظ:

١- **الإمعان**: مصدر أمعن، أي بالغ في الشيء، وله معانٍ أخرى.

٢- **الجَنان**: القلب

ثانيًا: المعنى الإجمالي للأبيات:

بين الناظم في هذه الأبيات مراتب الدين: الإسلام والإيمان والإحسان، فبدأ بتقرير عقيدة أهل السنة في تعريف الإيمان شرعًا، وهو قصد القلب وقول باللسان وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ثم عمد إلى بيان الإسلام وأنه قائمٌ على خمس دعائم: الشهادتان، والصلاة، والحج، والصيام، والزكاة.

وأشار إلى أن هذه الأركان منها اعتقاد بالقلب والجنان، ونطق اللسان، وعمل بالأركان، وأنه لو أمعن النظر لهذه الأركان لوجدها تدل على حقيقة الإيمان وكماله الواجب.

ثم تطرق إلى بيان أركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، ولم يذكر الكتب.

ثم فسر المرتبة الثالثة من الدين وهو الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن يراه فإنه يراك.

وختم هذه الأبيات بأن هذه المراتب الثلاثة هي الدين الذي يجب معرفته، وتكفيه في تحقيق واجبات الدين وأصوله.

وقد بين الدليل عليها وهو حديث جبريل عليه السلام فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[١].

ثالثًا: المسائل المتعلقة بالأبيات:

المسألة الأولى: عقيدة أهل السنة في تعريف الإيمان.

الإيمان في اللغة: هو الإقرار والإذعان والتصديق.

وشرعًا: هو اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويزول بالكفر والردَّة.

---

[١] رواه مسلم (٨).

ويعبر العلماء عنه بالقول والعمل، ويعنون قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ويزيد بعض العلماء: ونية واتباع.

أدلة هذه المسألة:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

٢- وقال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[١]، فالحياء من عمل القلب، ولا إله إلا الله عمل اللسان، وإماطة الأذى من أعمال الجوارح، وقد سماها النبي ﷺ إيمانًا، وقال ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»[٢] فدل على نقصان الإيمان، وقال ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**»[٣]، والطهور الذي هو الوضوء نصف الإيمان فهو عملٌ داخلٌ في مسمى الإيمان.

٣- أجمع أهل السنة على ذلك، قال أبو محمد الرازي: «سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[٤].

---

[١] رواه البخاري (٩) ـ واللفظ له، ومسلم (٣٥).

[٢] رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

[٣] رواه مسلم (٢٢٣).

[٤] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٩٨).

قال ابن عبد البر ﷺ: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان»[١].

وقد خالف في هذه العقيدة فرقٌ كثيرة ترجع إلى عدة أقوال:

الأول: أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، والعمل ليس من الإيمان، وهم مرجئة الفقهاء.

الثاني: أن الإيمان مجرد التصديق والمعرفة بالقلب، وهو قول الجهمية.

الثالث: أن الإيمان قول اللسان، وهو قول الكرامية.

الرابع: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد لكنه يزيد ولا ينقص، وهو قول عامة الخوارج.

وهذه الفرق كلها تتفق في أصلٍ واحدٍ وهو أنهم جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا إذا زال بعضه زال كلُّه، لكن الفرق بين الخوارج والمرجئة: أنّ الخوارج عندهم الطاعات من الإيمان، فإذا ذهبت ذهب الإيمان كله، والمرجئة أخرجت الأعمال فالنقص فيها لا يؤثر في الإيمان.

المسألة الثانية: بيان معنى شهادة أن لا إله إلا الله وفضلها وأركانها وشروطها.

كلمة لا إله إلا الله هي العروة الوثقى، ومركب النجاة، وسفينة نوح، من عدل عنها هلك، ومن ركبها خلص ونجا، وهي قطب الإسلام، وقاعدة الأديان[٢].

---

[١] التمهيد (١٥/ ٤١).

[٢] ينظر: الدعاء المأثور للطرطوشي (ص ص ١١٤).

وهي كلمه التقوى والإخلاص، وشهادة الحق، ومفتاح دعوة الرسل، ومفتاح الجنة، وأعظم الحسنات، وأفضل ما قاله النبيون، وأفضل الذكر[١].

أولًا: من فضائلها:

ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»[٢].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[٣].

وقال ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[٤].

ثانيًا: معنى كلمه التوحيد: «لا إله إلا الله»:

معناها: هو لا معبود حقٌّ إلا الله، فالإله هو المألوه المعبود المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحج: ٦٢]، وجاء عنه ﷺ في التلبية: «**لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ**»[٥].

فلا: نافية للجنس تعمل عمل «إنّ»، إله: اسمها منصوب، والخبر محذوف تقديره «حَقٌّ»، وتقدير الخبر بحق دل عليه القرآن والسنة، وهناك تفسيرات خاطئة في تقدير الخبر:

---

[١] ينظر في ذلك كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلي.

[٢] رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

[٣] رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

[٤] رواه البخاري (٩٩).

[٥] رواه النسائي (٢٧٥٢)، وابن ماجه (٢٩٢٠)، وصححه الألباني.

الأول: لا إله معبود إلا الله، وهذا التفسير غير مطابق للواقع، ولا ينفي المعبودات الباطلة.

الثاني: لا إله قادر على الاختراع إلا الله، وهذا تفسيرٌ يقرر جانب الربوبية دون الألوهية، وهو لا خلاف فيه، لكن الخصومة جاءت في تقرير الألوهية.

الثالث: لا إله موجود إلا الله، وهذا تقريرٌ لجانب الربوبية، ومخالفٌ للواقع حيث وجدت معبودات باطلة.

الرابع: لا إله حاكمٌ إلا الله، هذا تفسيرٌ لجانب الربوبية، لم يخاصم فيه المشركون.

ثالثًا: أركان «لا إله إلا الله»:

كلمة «لا إله إلا الله» مشتملة على ركنين: النفي والإثبات.

فـ«لا إله»: نفيٌ، «إلا الله»: إثباتٌ.

وهذا النفي والإثبات أبلغ صيغ الحصر، حيث ينفى العبادة عما سوى الله، ويحصر العبادة لله وحده.

ولا بد من اشتماله على الركنين؛ لأن النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع المشاركة.

رابعًا: شروط كلمة «لا إله إلا الله»:

دلت النصوص وأجمع العلماء على أنّ لكلمة التوحيد شروطًا، وقد حصرها العلماء في سبعة أو ثمانية:

١- العلم المنافي للجهل، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: ١٩].

٢- اليقين: وهو كمال العلم المنافي للشك، قال رسول الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

٣- الإخلاص المنافي للشرك، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[٢].

٤- الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»[٣].

٥-المحبة المنافية للبغض، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥].

٦- الانقياد المنافي للاستكبار والعناد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾[النساء: ١٢٥].

٧- القبول المنافي للرد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾[الصافات: ٣٥ – ٣٦].

٨- الكفر بما يعبد من دون الله، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرَّمَ اللهُ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[٤].

فهذه الشروط كما ترى دلّ عليها استقراء أدلة الكتاب والسنة، فمنكرها حاله كحال من أنكر شروط الصلاة والحج والزكاة، فما يقال في شروط مباني الإسلام الأربعة يقال في شروط المبنى الأول.

---

[١] رواه مسلم (٢٧).

[٢] رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

[٣] رواه البخاري (١٢٨) - واللفظ له-، ومسلم (٣٢).

[٤] رواه مسلم (٢٣).

المسألة الثالثة: بيان شهادة أن محمدًا رسول الله وفضلها ومقتضاها.

شهادة أن محمدًا رسول الله قرينة شهادة التوحيد، لا دخول إلى الإسلام إلا بها، ولا دخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالتلفظ بها، والاعتقاد بمدلولها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾[المنافقون: ١]، وقال: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[التوبة: ١٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[١].

وأما أركانها فهي: إثبات الرسالة للنبي ﷺ، ونفيها عما سواه من بعده، وتقتضي ثلاثة أمور مهمة:

الأول: تصديقه فيما أخبر به عن الله وعن الأمور الغيبية وعن ما سبق وما سيأتي وما لا يعقل، وضد التصديق التكذيب به، وهو أصل كفر اليهود، قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾[آل عمران: ١٨٤].

فالتكذيب بالرسول وأن الله لم يرسله هذا كفر بالإجماع، أو التكذيب ببعض ما جاء به الرسول.

الثاني: امتثال أمره وترك نهيه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر: ٧]، وقال أيضًا: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

---

[١] رواه مسلم (١٥٣).

قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[١]، وقال ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٢].

الثالث: أن لا يعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ، أي: لا يعبد الله بعبادة مبتدعة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٣].

قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود: ٧]، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أخلصه وأصوبه»، قالوا يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة»[٤].

المسألة الرابعة: بيان أركان الإسلام العملية على سبيل الإجمال.

أولها: الصلاة قرينة الزكاة، راحة القلب، تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣].

والصلاة هي أفعال وأقوال مبتدئة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.

ثانيها: الزكاة، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، قرينة الصلاة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣].

والزكاة: جزءٌ مقدر من مال مخصوص إلى أصناف مخصوصة.

---

[١] رواه البخاري (٧٢٨٠).

[٢] رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

[٣] رواه مسلم (١٨).

[٤] حلية الأولياء (٨/ ٩٥).

ثالثها: الصيام الذي يقود إلى التقوى، ويهذب النفس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣].

وهو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية.

رابعها: الحج، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وهو قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة في أوقات معلومة.

وهذه الأركان كلها لها شروط وأركان وواجبات ومستحبات تطلب في كتب الفقه، من حافظ عليها كما أمره الله ورسوله ﷺ كانت سبب نجاته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**»، قال: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا شيئا أبدًا، ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»[١].

المسألة الخامسة: بيان أركان الإيمان على سبيل الإجمال.

تحقيق الإيمان بمعرفة أركانه المعرفة الصحيحة على سبيل الإجمال واجب، يقول ابن القيم رحمه الله: «وأكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل، وأما الإيمان المفصل بما جاء به الرسول معرفةً وعلمًا وإقرارًا ومحبةً ومعرفةً بضده وكراهيته وبغضه فهذا إيمانُ خواصِّ الأمّة»[٢].

---

[١] رواه مسلم (١٤).

[٢] الفوائد (ص ١٠٥-١٠٦).

فالإيمان المجمل على شقين:

إيمان بالحق مجملاً، وإيمان بضد الحق إجمالاً، وهو أن يعلم ويصدق ويقر بأن الله هو الخالق المعبود له الأسماء الحسنى، وكذلك يؤمن بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر من نعيم في قبر وعذاب، ومواقف يوم القيامة، والجنة والنار، والإيمان بالقدر خيره وشره، ويعرف ضد الإيمان معرفة مجملة.

والإيمان المفصل أن يعرف تفاصيل كلِّ ركن ودليله وأن يعرف ضدَّه وفساده والرد عليه، وهكذا، وهذا الأكمل والأفضل.

والناس بحسب الإيمان إجمالًا وتفصيلًا على أقسام، منهم من يكون عنده إيمان مفصل بالحق، مجمل بضده، ومن الناس من يكون عنده تفصيل في ضد الإيمان، إجمال في معرفة الحق في الإيمان[١].

المسألة السادسة: بيان مرتبة الإحسان وفضلها.

وهذه أعلى مراتب الدين، وهي مرتبة الإحسان، والإحسان ركنٌ واحدٌ مشتمل على مرتبتين:

الأولى: مرتبة الطلب، وهي أن تعبد الله كأنك تراه.

الثانية: مرتبة الهرب، وهي أن تعبد الله كأنه يراك.

ومعنى الإحسان: إكمال العبادة ظاهرًا وباطنًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ [يونس: ٢٦].

---

[١] ينظر: مبحث نفيس عند ابن القيم في الداء والدواء (ص ٤٥٥-٤٦٥).

وهي مرتبة تكمل بالنظر في أسماء الله وصفاته، والعمل بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[الشعراء: ٢١٨ – ٢٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس: ٦١].

بَابٌ فِي أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ

٢٩- وَاعْلَمْ بِأَنَّ أَضْرُبَ التَّوْحِيدِ ... قَدْرُ ثَلاَثَةٍ بِلاَ مَزِيدِ:

٣٠- تَوْحِيدُ رَبِّ النَّاسِ فِي المُلْكِ، وَفِي ... صِفَاتِهِ، وَفِي العِبَادَةِ اقْتَفِ

٣١- فَالأَوَّلُ: اعْتِقَادُ كَوْنِ المُلْكِ ... للهِ وَحْدَهُ بْغَيْرِ شِرْكِ

٣٢- وَأَنَّهُ رَبُّ جَمِيعِ الخَلْقِ ... مُوجِدُهُمْ مُولِي جَمِيعِ الرِّزْقِ

الشرح

أولًا: غريب الألفاظ:

أضرب: جمع ضرب، وهو الصنف، يندرج في التقاسيم تحت النوع.

اقتفِ: اتبع.

ثانيا: المعنى الإجمالي للأبيات:

شرع الناظم في هذا الباب بذكر أنواع التوحيد، وبين أنها على ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة والألوهية، وأكد أنها ثلاثة بلا زيادة.

ثم شرع في بيان النوع الأول من التوحيد، وهو توحيد الربوبية، وعرَّفه بأنه اعتقاد تفرد الله في الملك، وأنه سبحانه رب جميع الخلق، موجدهم ورازقهم لا خالق ولا رازق إلا هو.

ثالثا: المسائل المتعلقة بهذه الأبيات:

المسألة الأولى: أنواع التوحيد الثلاثة وأدلتها.

قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية، وقد جعل بعض العلماء التوحيد على نوعين:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات.

والثاني: توحيد الطلب والقصد.

وهو يرجع إلى الأنواع الثلاثة، فتوحيد الطلب هو توحيد العبادة، وتوحيد المعرفة والإثبات هو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وعبر عنه بعضهم بالتوحيد العلمي والعملي، فالعلمي هو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والعملي هو توحيد العبادة.

فجميع هذه الطرق في التقسيم ترجع إلى معنى واحد وهو بيان أنواع التوحيد الثلاثة وأنه لا زيادة على هذه الثلاثة.

أدلة هذه الأنواع الاستقراء التام للأدلة، والأدلة في ذلك على قسمين:

القسم الأول: الأدلة الجامعة لأنواع التوحيد.

منها قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[مريم: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾[الناس: ١ - ٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة: ٢].

القسم الثاني: الأدلة الدالة على كل نوع من أنواع التوحيد.

١- أدلة توحيد الربوبية: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾[الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر: ٦٢]، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤].

٢- أدلة توحيد الألوهية: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزمر: ٢-٣]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[البقرة: ٢١].

٣- أدلة توحيد الأسماء والصفات: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء: ١١٠]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[طه: ٨]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠].

تنبيه على بعض الأخطاء في تقسيم التوحيد.

الخطأ الأول: قول بعضهم: «الله واحد في أفعاله لا شريك له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في ذاته لا قسيم له».

فهذا التقسيم غلطٌ من وجوه:

الأول: أنه ذكر توحيد الربوبية والأسماء والصفات، ولم يتطرق إلى توحيد الألوهية الذي وقعت فيه الخصومة.

الثاني: أن توحيد الربوبية لا ينازع فيه المشركون.

الثالث: فيه إجمال في قولهم: «واحد في ذاته لا قسيم له»، أي: أنه لا يتجزأ، وهم يريدون بذلك نفي بعض صفات الله تعالى.

الخطأ الثاني: من زاد في أنواع التوحيد توحيد الحاكمية، وخطأ ذلك من وجوه:

الأول: أن الحاكمية جزءٌ من توحيد الربوبية، أو داخل في طاعة الله وعبادته.

الثاني: أن المشركين لم يخاصموا في هذا النوع.

الثالث: أن إبراز هذا القسم هو من فكر التكفيريين للوصول إلى تكفير الحكام، وقد رد علي ﷺ على الخوارج لما نادوا بشعار: «إن الحكم إلا لله»، فقال: «كلمة حق أريد بها باطل».

وعلى هذا يكون خطأ هذه الأقوال من وجهين: الأول وهو مخالفتها للدليل، والثاني وهو مخالفتها لما عليه السلف الصالح والأئمة المعتبرين.

المسألة الثانية: شبهة منكري تقسيم التوحيد والرد عليهم.

أنكر بعض الناس أنواع التوحيد أو أقسامه بشبهٍ مجملها: أن الرب هو الإله، والإله هو الرب، وأن هذا التقسيم محدثٌ لم يعرف إلا في القرن السابع، وأول من اخترعه ابن تيمية، والرد على هذه الشبه من وجهين:

الوجه الأول: الوجه المجمل: أن الأدلة قد دلت على أن العرب أقرت بالله ربًا لا إله واحدًا، كما دلت الأدلة على ذكر أنواع التوحيد.

الوجه الثاني: الرد التفصيلي وهو على ثلاثة:

الأول: أن الأدلة دلت على ذكر أنواع التوحيد كما سبق.

الثاني: الرد على قولهم: «الرب هو الإله، والإله هو الرب»:

أولًا: أن الأدلة فرقت بين الإله والرب، فهما يدلان على الله، وكل منهما له معنى يتضمنه ويقتضيه، ويقتضيه قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[البقرة: ٢١].

الثاني: أن الله بين أن المشركين أقروا بمعنى الرَّبِّ وعبدوا غيره، وأتت آثار السلف في ذلك، فدل على التفريق، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال ابن عباس ﷺ: «**من إيمانهم، إذا قيل لهم: مَن خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون**»، وقال عكرمة ﷺ: «**تسألهم: مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره**» [١].

قال القرطبي ﷺ: «نزلت في قوم أقروا بالله خالقهم، وخالق الأشياء كلها وهم يعبدون الأوثان» [٢].

الثالث: أن مشركي العرب أنكروا عبودية الله مع إقرارهم أن الله هو الخالق الرازق، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، فأقروا بأنه الخالق لكن أنكروا عبادته وإلهيته، قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

الرابع: في قولهم: إن هذا التقسيم محدثٌ اخترعه ابن تيمية في القرن السابع، والجواب عليه: أن هذا الكلام باطلٌ، وهو كلام من لم يعرف كلام علماء المسلمين، فقد ورد عنهم ذلك كثيرًا إشارة وتصريحًا، فمن ذلك:

١- قال أبو حنيفة ﷺ (ت١٠٥هـ) عند ذكره صفة العلو: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض، والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل، ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء» [٣].

---

[١] تفسير الطبري (١٦/ ٢٨٦).

[٢] الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٧٢).

[٣] الفقه الأكبر (ص ١٣٥).

٢- قال ابن بطة ﷺ (ت٣٨٧هـ): «لأن الإيمان إقرار لله بالربوبية، وخضوع له في العبودية، وتصديق له في كل ما قال وأمر ونهى»[١].

٣- قال الطبري ﷺ (ت٣١٠): «وأقرّ له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية»[٢].

٤- قال ابن هبيرة ﷺ (ت٥٦٠هـ): «يقال في هذه السورة علم الحمد، وعلم الألوهية، وعلم الربوبية»[٣].

٥- قال أبو محمد مكي المالكي ﷺ (ت٤٣٧هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر: ٦٤ – ٦٥]: «ذلكم ربكم الذي لا تصلح الألوهية إلا له، ولا تحسن العبادة لغيره، وهو الله ربكم لا تصلح الربوبية إلا له»[٤].

وذكره غيرهم كابن منده ﷺ (ت٣٩٥هـ)، والتيمي الأصبهاني ﷺ (ت٥٣٥هـ) في الحجة في بيان المحجة.

المسألة الثالثة: العلاقة بين أنواع التوحيد.

جميع أنواع التوحيد متلازمة، فتوحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن توحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ

---

[١] الإبانة الكبرى (٢/ ٨٦٤).

[٢] جامع البيان (٦/ ٥٦٤).

[٣] الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٥٧).

[٤] الهداية إلى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٤٥٥).

﴿ٱلسَّمَآءَ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢]، ولا يستقيم توحيد الربوبية فضلًا عن توحيد الألوهية إلا بتوحيد الأسماء والصفات[١].

وعلى ذلك لا يكفي في الإيمان والتوحيد الإقرار بالربوبية وحدها، فقد أقرت به جميع الكفار، ولم يخالف فيه إلا الثنوية وبعض المجوس، وسائرهم اتفق على أن الله الخالق العالم الرازق لكن لم يدخلهم ذلك في الإسلام، قال ابن عبد البصري رحمه الله: «إن الخلق يقرون بربوبيته، وإنما جحدوا معرفة التوحيد الذي تعبدهم به على ألسنة السفراء»[٢].

المسألة الرابعة: التعريف بتوحيد الربوبية، وأدلته.

وفيه عدة فروع:

الفرع الأول: تعريف توحيد الربوبية.

الربوبية مأخوذة من الرب، ربّ يربي ربوبيةً وتربيةً، والرب والربوبية لا يطلقان إلا على الله عند الإطلاق بالتعريف، فلا يطلق الرب على غيره إلا مضافًا.

والربوبية تولي الله خلقَهُ بالتربية، يخلقهم ويصلح معاشهم، ويقدر لهم أقدارهم، وهي تجمع ثلاثة أصول: الخلق والملك والتدبير كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[المائدة: ١٧].

فقوله: ﴿مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ﴾دليل أصل الملك.

---

[١] العقد الثمين في بيان مسائل الدين للشيخ علي للسويدي الشافعي (ص ١٨٨).

[٢] ينظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨/ ٥٠٩).

وقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ دليل أصل الخلق.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دليل أصل التدبير.

فتوحيد الربوبية: هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، ويعرف بأنه إفراد الله بأفعاله.

الفرع الثاني: أنواع ربوبية الله لخلقه.

ربوبية الله تعالى لخلقه نوعان:

الأولى: ربوبية عامة لجميع خلقه، وحقيقتها تربية خلق وملك وتدبير.

الثانية: ربوبية خاصة لأوليائه، وحقيقتها تربية توفيق للخير وعصمة من الشر، وقد جمعتا في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأعراف: ١٢١ – ١٢٢]، فخصص موسى وهارون بربوبية تمتاز عن الربوبية العامة للعالمين.

الفرع الثالث: أدلة توحيد الربوبية، ودلائله السمعية.

يدل على ربوبية تعالى الله أدلة منها:

الدليل الأول: دليل الفطرة، وهي عقيدة علمية مركوزة في أصل الخلق، وهذا محل إجماع، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠].

والفطرة نوعان:

أ- فطرة معرفة الرب وهذا مغروس مركوز.

ب- فطرة تأليه الرب، وهذه قد تتبدل وتتغير، والسبيل إلى ردِّها الفطرة الأولى.

الدليل الثاني: دليل الآيات الكونية، ودلالتها من جهتين:

الجهة الأولى: افتقارها إلى ربٍّ يوجدها.

الجهة الثانية: افتقارها إلى ربٍّ في بقائها.

وقد سلك القرآن في تقرير هذا الدليل عدة مسالك:

المسلك الأول: دليل الخلق.

خلق السموات والأرض وما فيها، وخلق الإنسان، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[عبس: ٢٤ - ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الذاريات: ٢١].

المسلك الثاني: دليل العناية.

وهي عناية الله التامة بالخلق من ليل ونهار وسماء وأرض وفصول وإنسان، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص: ٧١].

المسلك الثالث: دليل النظام.

نظام هذا الكون وتنظيم سيره، بأتقن نظام وأكمله، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[النمل: ٨٨]، وقال أيضا: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السجدة: ٧]، وقال أيضا: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾[يس: ٤٠].

الفرع الرابع: ما يضاد توحيد الربوبية.

مما يضاد توحيد الربوبية اعتقادُ متصرِّفٍ مع الله أو خالق غيره، أو نفيُ وجود ربٍّ

خالقٍ، وهذا هو الإلحاد في الربوبية، فيرجع إلى إنكار الرب أو خصائصه، أو إشراك غيره في خصائصه، ومرجع هذا الإلحاد إلى ثلاث مقالات:

المقالة الأولى: منكرو وجود الله، وهم الماديون الطبائعون الدهريون.

المقالة الثانية: القائلون بقدم العالم، وهم الفلاسفة.

المقالة الثالثة: القائلون بوحدة الوجود، وهو أن وجود المخلوقات هو عين وجود الرب.

والرد عليهم جملةً في عدة نقاط:

١- أن هذه الأقوال مخالفة للفطر السليمة؛ لأن كل فطرة سليمة تقرُّ بربوبية الله.

٢- أن هذه الأقوال مخالفة للعقول الصريحة، فكل عقل صريح لا يستطيع إنكار كون هذا العالم بنظامه وجماله ودقته يكون قد وجد صدفة أو خلق نفسه.

٣-أن هذه الأقوال مخالفة للحس الصحيح السليم.

٤-أنها مخالفة لأدلة القرآن، فدلالة القرآن تدل على أن الله هو الخالق، وأنه أول لا شي قبله، وأن المخلوقات ليست هي عين الله ولا أن الله حلّ فيها، بل هي خلق من خلق الله.

٥-أن هذه الأقوال مخالفة لما أجمع عليه الناس حتى من أشرك في ألوهية الله، يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر.

٦- أن كل مقالة أصحابها مختلفون في تقريرها فيما بينهم، متناقضون فيها.

٧-أن كل مقالة يلزم عليها لوازم باطلة فاسدة، واللوازم الفاسدة تدل على فساد الملزوم.

تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

٣٣- وَالثَّـانِ: أَنْ يُوَحِّـدَ اللهُ عَلَـى أَسْـمَائِهِ وَفِـي صِفَاتِـهِ العُـلاَ

٣٤- وَكُلُّ مَـا بِـهِ تَعَالَـى وَصَفَـا لِنَفْسِـهِ عَلَى لِسَـانِ المُصْطَفَى

٣٥- فَـإِنَّ وَصْفَهُ بِهِ - جَـلَّ - لَزِمْ وَالحُكْمُ فِي أَسْـمَائِهِ كَذَا الْتُزِمْ

٣٦- فَمِـنْ صِفَاتِـهِ البَقَـاءُ وَالقِدَمْ جَـلَّ ابْتِـدَاءً وَدَوَامًا عَـنْ عَدَمْ

٣٧- إِذْ هُـوَ أَوَّلٌ بِـلاَ بِدَايَـهْ وَآخِـرٌ يَبْقَـى بِـلاَ نِهَايَـهْ

٣٨- لَيْـسَ لَـهُ مِـنْ وَالِـدٍ وَلاَ وَلَدْ حَاشَا-وَلاَصَاحِبَةٍ،جَلَّ الصَّمَدْ

٣٩- فَهُوَتَعَالَى الوَاحِدُالفَرْدُالأَحَدْ لَيْـسَ لَـهُ نِـدٌّ وَلاَ كُفُـوٌ أَحَـدْ

٤٠- وَالمَلِـكُ المَالِـكُ وَالمَلِيكُ لَيْـسَ لَـهُ فِـي مُلْكِـهِ شَـرِيكُ

٤١- وَلاَ مُظَاهِـرٌ وَلاَ وَزِيـرُ حَاشَـا - وَلاَ مِثْـلٌ وَلاَ نَظِيـرُ

٤٢- بَـلْ كُلُّ مَا سِـوَاهُ فَهْـوَ خَلْقُهُ عَبْـدٌ لَـهُ يَجْـرِي عَلَيْـهُ رِزْقُـهُ

٤٣- فَهْوَ السَّـمِيعُ العَالِـمُ البَصِيرُ وَالحَـيُّ وَالمُرِيـدُ وَالقَدِيـرُ

٤٤- وَمِـنْ صِفَـاتِ ذَاتِـهِ: القِيَـامُ بِنَفْسِـهِ لاَ الغَيْـرِ، وَالـكَلاَمُ

٤٥- كَلَّـمَ مُوسَـى بِكَلاَمِـهِ الَّذِي مِـنْ وَصْفِ ذَاتِـهِ، فَبِالحَقِّ خُذِ

الشرح

أولًا: معاني الغريب.

١- **الند**: هو المثيل لكن يزيد على المثل بالندية، أي، مكان مثل الشيء، ولكن يضاده في أمور[١].

٢- **مظاهر**: من الظهير وهو النصير.

٣- **مثل**: التمثيل هو تشبيه الشيء بالشيء إلا أن التشبيه المساواة في أكثر الصفات، والتمثيل المساواة في الصفات من كل وجه.

والتكييف قريبٌ منه إلا أنه قد يقيد بصفة وقد يطلق، والتماثل والتشابه في الذات والصفات والقدر، والتكييف يختص بالصفات.

٤- **نظير**: وهو المثيل، إلا أن الفرق بينهما أن النظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله.

ثانيًا: المعنى الإجمالي للأبيات.

يبين الناظم أن النوع الثاني من أنواع التوحيد، هو توحيد الله في أسمائه وصفاته، وذلك بأن كل ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته وجب على المسلم إثباته بلا تشبيه، ثم أشار إلى جملةٍ من أسماء الله وصفاته: البقاء والقدم، وأنه الواحد الفرد الأحد والملك المالك المليك، والسميع والعالم البصير والحي المريد القدير والقيوم، ومن صفاته الكلام.

وأنه سبحانه ليس له صاحبة ولا ولد ولا شريك ولا ظهير ولا وزير ولا نظير ولا مثيل.

---

[١] ينظر: الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري (ص ١٥٤).

ثالثًا: المسائل المتعلقة بهذه الأبيات.

المسألة الأولى: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

هو إفراد الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى الواردة في القرآن والسنة الصحيحة.

المسألة الثانية: وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته وخطر الإلحاد فيها.

يجب على كل مسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته كما جاءت في النصوص؛ لأنه من الإيمان بالله الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[١].

وهذا العلم أجل علوم الدين كلها[٢]؛ لأن به معرفة الله ولا أجل ولا أعظم من الله، ويبين ذلك أن دعوة الرسل تدور على ثلاثة أصول:

الأول: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله.

الثاني: تعريف الخلق الطريق الموصلة إلى الرب، وهي عبادته.

الثالث: تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه[٣].

---

[١] رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

[٢] ينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٩٤٤).

[٣] ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ١٥١).

المسألة الثالثة: خطر الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

إذا تبين أن أعظم وأجل علم وأكبر ما يحتاجه العبد هو معرفة الله تبين لك خطر الإلحاد في أسماء الله وصفاته، إذ هو يقطع طريق القلوب إلى معرفة بارئها وفاطرها، وإذا القلوب لم تعرف ربَّها فكيف يستقيم حالها.

والإلحاد هو الميل عن الحق الواجب في أسماء الله وصفاته، وهو على أنواع:

الأول: أن تسمى الأصنام بأسماء الله كتسمية اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

الثاني: تسمية الله بما لا يليق به كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا وعلة فاعلةً.

الثالث: وصفه بما ينزه عنه من النقائص كقول اليهود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة: ٦٤].

الرابع: جحد معانيها وحقائقها، كقول الجهمية والمعطلة أنها ألفاظ مجردة عن المعاني والصفات.

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه كقول الممثلة يده كيدي، وغير ذلك.

وقد توعد الله أهل الإلحاد بوعيد شديد فقال: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠] سيجزون على إلحادهم العقوبة الشديدة والعذاب الأليم.

كما قال الله تعالى متوعدًا الملحدين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠]، أي: الله تعالى مطلع عليهم متوعد لهم، ولهذا قال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾[فصلت: ٤٠].

فالإلحاد بجميع أنواعه محرم، وهو على نوعين من حيث الحكم:

النوع الأول: كفر.

النوع الثاني: دون الكفر.

المسألة الرابعة: قواعد وضوابط أهل السنة في إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

القاعدة الأولى: أن إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى مبنيٌّ على الكتاب والسنة الصحيحة، وذلك لأن الأسماء والصفات من قبيل الكلام على أمر غيبي، ولا مجال للعقل في إثباتها إلا عن خبر الله أو خبر رسوله، والله أعلم بنفسه، والرسول أعلم بالرب، فكلام العبد في هذا الباب بعقله أو رأيه بلا نصٍّ من قبيل الكلام على الله بلا علم، وهو محرمٌ.

وعلى هذا ما ورد إثباته في النصوص وجب إثباته، وما نفاه الله ورسوله وجب نفيه مع إثبات كمال الضد، وما لم يرد نفيه ولا إثباته فيتوقف في لفظه فلا ينفى ولا يثبت، وأما معناه فيستفصل منه، فإن كان حقًّا قبل مع تصحيح اللفظ، وإن أريد به معنى باطلًا وجب ردُّهُ.

القاعدة الثانية: أن أسماء الله حسنى وصفاته عُلى.

فأسماء الله حسنى بالغة في الحسن كماله، لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف: ١٨٠]، وصفات الله عُلَى لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠].

وهذا مما يقتضيه العقل الصريح، وذلك أن كل موجود حقيقة، لابد أن تكون له

صفات، إما نقص وإما كمال، والنقص منفيٌّ عن الله باتفاق، والكمال في حقه هو الواجب، لهذا عاب الله آلهة المشركين بأن صفاتها صفة نقص، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ﴾[مريم: ٤٢].

القاعدة الثالثة: أن إثبات الأسماء والصفات لله يجب أن يكون إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

أي: نثبت لله الأسماء والصفات متجنبين تمثيل صفاته بصفات خلقه لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[النحل: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

ودلت الآية على أن تنزيه الله عن النقائص يجب أن يكون بلا تعطيل للصفات.

فمن توهم التمثيل أو التعطيل وقع في ستة محاذير:

١- أنه فهم النصوص فهمًا خاطئًا.

٢- أنه تجنّي على النصوص بحملها على غير الوجه الصحيح.

٣- أنه يلزم منه وصف الله بالنقائص.

٤- أنه تكلم على الله بلا علم.

٥- أنه خالف طريق السلف الصالح.

٦- أنه سيتناقض ولا بد.

القاعدة الرابعة: أن الأصل في إثبات الأسماء والصفات التفصيل، والأصل في النفي الإجمال.

الأصل في إثبات الأسماء والصفات أن تثبت مفصلة، وذلك لأنها جاءت مفصلة، وهي في التفصيل أبلغ في المدح، والأصل في النفي أنه مجمل، وذلك لأنها طريقة القرآن والسنة، ولأن التفصيل في النفي فيه نوع سوء أدب مع الله، لكن قد يأتي الإثبات مجملًا كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠].

وقد يأتي النفي مفصلاً لأسباب منها:

أ- نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾[المؤمنون: ٩١].

ب- دفع توهم نقص في كماله كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق: ٣٨].

ت- بيان عموم كماله، قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص: ٣ – ٤].

المسألة الخامسة: جملة من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي ذكرها الناظم.

أولًا: أسماء الله الحسنى التي ذكرها الناظم على سبيل الإجمال: [الأول، الآخر، الواحد، الفرد، الأحد، الملك، المالك، والمليك، السميع، العالم، البصير، الحي، المريد، القديم].

وقبل البدء بذلك هنا ضابطٌ مهم في معرفة الأسماء الحسنى، وهو أن الأسماء الحسنى ما دلّ عليها الكتاب والسنة، ودعي الله بها وكانت حسنى في نفسها.

فالأول الآخر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[الحديد: ٣]، وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»[١].

---

[١] رواه مسلم (٢٧١٣).

قال السعدي ﷺ: «فبيّن معنى كل اسمٍ، ونفى ما يناقضه، وهذا أعلى درجات البيان، وهنا نكتفي بهذا التفسير والبيان الذي لا يحتاج إلى غيره»[١].

الواحد الفرد الأحد: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإخلاص: ١]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[الزمر: ٤]، أي: هو الواحد المتفرد بصفات المجد والجلال، المتوحد بنعوت العظمة والكبرياء والجمال، فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا مثيل ولا نظير، ولا ندله، وهو واحدٌ في ألوهيته لا شريك له، لهذا نفى الله الصاحبة والولد والند لكمال أحديته ووحدانيته.

الفرد: اختلف في إثباته:

القول الأول: أنه من أسماء الله، وقد ذهب إلى ذلك البيهقي والحليمي والسعدي وغيرهم لحديث الوليد بن مسلم في تعداد الأسماء الحسنى: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ فَرْدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ**»[٢]، وإسناده ليس بالقوي[٣].

القول الثاني: عدم إثباته لعدم ثبوت الأدلة، وهذا القول أقرب.

وإنما أطلقه العلماء من باب الإخبار لا الاسم.

الملك المالك والمليك: قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[طه: ١١٤]، وقال: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾[القمر: ٥٥]، وقال: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[آل عمران: ٢٦]، وقال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[الفاتحة: ٤]، وقال: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾[الحشر: ٢٣].

أي: هو المتفرد بالملك وكمال القوة والعزة والقدرة والعظمة والكبرياء.

---

[١] فتح الرحيم الملك العلام (ص ٦١).

[٢] رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١٦٠).

[٣] ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد بن خليفة التميمي (ص ٢٣٦).

وقد ذكر اسم المالك مفردًا جمعٌ من العلماء كابن منده، وابن العربي، وابن القيم، وابن حجر وغيرهم، والذي يظهر أن المالك أتى مضافًا لا مفردًا كما في النصوص[١].

وهنا فائدة في أسماء الله تعالى:

أنّ منها ما ورد مفردًا لا مضافًا ولا مقترنًا.

- أنّ منها ما ورد مقترنًا بغيره، فهذا يسوغ أن يدعى به منفردًا أو مقرونًا بغيره كالسميع العليم.

- أنّ منها ما يكون مضافًا كأحكم الحاكمين، بديع السموات والأرض، فهذا يدعى به مضافًا لا مفردًا.

- أنّ منها ما يكون مقرونًا بمقابلة، فهذا لا يجوز أن يفرد كالباسط، القابض، المقدم، المؤخر.

السميع: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، أي: له كمال السمع، يسمع جميع الأصوات مع الإعلان والإخفات ومع اختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

العالم: لم يأت مفردًا بل مضافًا، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[الأنعام: ٧٣]، وكذلك العلاّم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[التوبة: ٧٨]، والوارد مفردًا اسم العليم.

والعليم هو العليم بكل شيء ما خفي في الأرض والسماء وما ظهر، فهو سبحانه أحاط علمه بالواجبات والمستحيلات والجائزات والماضيات والحاضرات والمستقبلات والعلويات والسفليات والخفيات والجليات.

---

[١] ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (ص ١٨٣).

البصير: وهو البصير الذي أبصر كل شيء دقَّ وجلّ، يبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، يبصر جريان الأغذية في عروق الحيوانات وأغصان النباتات.

الحي: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾[غافر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، هو الحي الذي لا يموت، له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات.

المريد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾[النحل: ٤٠]، وقد ذكره من أسماء الله ابن العربي، والراجح أنه ليس من أسماء الله، بل هو من صفاته، فليس كل فعل يشتق منه اسمٌ، وبالعكس كل اسم يشتق منه صفة، وهذه قاعدة مهمة.

القدير: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾[الروم: ٥٤]، فهو كامل القدرة، لا يعجزه شيء، أوجد الموجودات بقدرته، ودبرها وسواها وأحكمها، وأحيا وأمات، وبعث وجازى.

ثانيًا: صفات الله التي ذكرها الناظم في الأبيات:

وقبل الدخول فيما ذكره الناظم، لابد أن نراعي في صفات الله أربعة أمور:

١- دلالة النص عليها.

٢- كونها لها معنى معلوم في اللغة.

٣- أن الكيف فيها مجهول.

٤- أن الإيمان بها واجب.

فمن الصفات التي ذكرها الناظم:

١- **القيام بنفسه**: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، أي: هو

القائم بنفسه وغيره قائم به فالله هو مقيم لها، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[الرعد: ٣٣]، فهو القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم.

فقوله: «لا الغير»، أي: أنه قائم بذاته لا مقيم له، ولا مشارك له.

٢- **كلام الله**، الله تعالى تكلم بكلامٍ حقيقي قائم بذاته، متعلق بمشيئته بصوت وحرف، والأدلة على ذلك كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾[المائدة: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾[الأنعام: ١١٥]، وقال أيضا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف: ١٤٣]، وقال أيضًا: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾[مريم: ٥٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»[١]، وقال ﷺ: «**أَحْسَنُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ**»[٢].

وهذا محل إجماعٍ من علماء أهل السنة، قال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: «فممّا اجتمعت عليه الأئمة من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة...وأنّ كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوقٍ فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، وأنّ الله ﷻ كلم موسى بذاته وأسمعه كلامه لا كلامًا قام في غيره»[٣].

وقد انحرف أهل الأهواء والبدع في إثبات صفة الكلام لله على عدة أقوال:

---

[١] رواه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥٦)، وصححه الألباني.

[٢] رواه النسائي (١٣١١)، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

[٣] الجامع (ص ١٤٠).

الأول من قال: إن كلام الله مخلوق.

والثاني من قال: هو كلام قائم بذاته، أي كلامًا نفسيًا، لا يتعلق بمشيئة، فالكلام عبارة عن كلام الله ليس هو كلام الله.

والثالث من قال: إن كلام كل مخلوق هو كلام الله، وهذه عقيدة الاتحادية.

وكل هذه الأقوال مردودة بصريح القرآن والسنة مخالفة لما عليه الصحابة والأئمة.

الإيمَانُ بِالكُتُب المُنزَّلَة وَأَنَّهَا كَلامُ الله

٤٦- وَالصُّحْـفُ وَالتَّوْرَاةُ وَالزَّبُورُ ... وَبَعْـدَهُ الإِنْجِيـلُ وَالمَسْـطُورُ

٤٧- أَعْنِـي كِتَـابَ أَحْمَـدَ الأَوَّاهِ ... جَمِيعُهـا عَيْـنُ كَلاَمِ اللهِ

٤٨- لَفْظًا وَمَعْنًـى عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ ... وَإِنَّمَا المَخْلُوقُ صَوْتُ الخَلْقِ

٤٩- وَحِبْرُهُـمْ وَالخَطُّ وَالسِّـجِلُّ ... قَضَـى بِهَـذَا العُلَمَـاءُ الجُـلُّ

٥٠- فَالصَّوْتُ لِلْقَـارِئِ، وَالكَلاَمُ ... للهِ، ذَا بِـهِ قَـدِ اسْـتَقَامُوا

٥١- فَاللَّفْظُ وَالمَعْنَـى مِنَ القُرآنِ ... قَـدْ نَـزَلاَ مِـنْ رَبِّنَـا الرَّحْمـنِ

٥٢- تَكَلَّـمَ اللهُ بِـهِ فَأَسْـمَعَا ... أَمِينَـهُ جِبْرِيـلَ، نِعْـمَ مُودَعَـا

٥٣- فَبَلَّـغَ النَّبِـيَّ جَبْرَائِيـلُ ... جَمِيـعَ مَـا حَمَّلَـهُ الجَلِيـلُ

٥٤- ثُـمَّ تَلَقَّـاهُ مِـنْ النَّبِـيِّ ... أَصْحَابُـهُ بِلَفْظِـهِ القُدْسِـيِّ

٥٥- وَأَنَّـهُ الآنَ عَلَـى مَـا قَـدْ نَزَلْ ... وَلاَ يَـزَالُ هَكَـذَا، وَلَـمْ يَـزَلْ

٥٦- مُبَـرَّأً عَـنْ اتِّيَـانِ البَاطِـلِ ... لَيْـسَ بِمَنْسُـوخٍ وَلاَ مُبَـدَّلِ

٥٧- وَنَحْـوُ «طـس» وَ «يـس» وَمَا ... ضَاهَاهُمَـا رَبِّـي بِـهِ تَكَلَّـمَا

٥٨- وَقَدْ أَتَى التَّرْتِيبُ مِنْهُ حَسْبَمَا ... لَقَّنَـهُ نَبِيَّنَـا وَعَلَّمَـا

٥٩- وَحَسْبَمَا أُثْبِتَ فِي المَصَاحِفِ ... رَسْـمًا، فَلاَ تُصْغِ إِلَى مُخَالِفِ

٦٠- ثُـمَّ كَلاَمُ اللهِ كَالقُـرْآنِ ... لَيْـسَ بِمُحْـدَثٍ وَلاَ بِفَـانِ

٦١- وَاللَّفِـظُ مِنْ ذَلِـكَ وَالمَعَانِي ... فِي الحُكْـمِ عِنْدَ العُلَمَا سِـيَّانِ

٦٢- فَمَنْ يَقُلْ بِأَنَّهُ: «قَوْلُ البَشَرْ» فَكَافِرٌ، وَاللهُ يُصْلِيهِ سَقَرْ

٦٣- وَمَنْ يَقُلْ بِخَلْقِهِ أَوْ سَطْرِهِ فَهْوَ مُضِلٌّ، فَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهِ

الشرح

أولًا: الغريب.

الأواه: المُتَضَرِّع.

ثانيا: المعنى الإجمالي للأبيات:

يقرر الناظم في هذه الأبيات ركن الإيمان بالكتب، وأنها كلها منزلة من الله، وهي من كلامه، ومنها: صحف إبراهيم، والتوراة التي نزلت على موسى، والزبور الذي نزل على داود، والإنجيل الذي نزل على عيسى، وآخرها القرآن الذي أنزل على محمّد ﷺ.

فكل هذه الكتب هي من كلام الله، وتكلم بها فلفظها من عنده، ليس بكلامٍ مخلوق، وإنما المخلوق هو صوت القارئ وحبره وخطه وسجلّه.

وأفرد الكلام على القرآن بتوسع، فذكر أن القرآن تكلم الله، به وسمعه جبريل وبلغه محمّدًا، وبلغه محمّدٌ للصحابة، وأن القرآن الآن على ما نزل عليه، ولن يزول لأن الله تكفل بحفظه، فلا تتطاوله أيادي المحرفين، ولا يدخله باطلٌ ولا نسخٌ ولا تبديلٌ كما دخل ذلك على الكتب السابقة.

وأشار رحمه الله إلى أن ترتيب السور والآيات ترتيب توقيفيٌّ، كذا لقنه النبيُّ ﷺ صحابتَه، ونفى عن القرآن العقائد الفاسدة، فهو ليس بمحدثٍ ولا بفانٍ، وليس هو كلام بشر، وليس هو بمخلوقٍ، إذ هذه العقائد عقائد باطلة كفرية.

ثالثا: المسائل على وجه التفصيل.

المسألة الأولى: الإيمان بالكتب ركنٌ من أركان الدين.

الإيمان بالكتب المنزلة على الرسل واجبٌ لا يصح إيمانُ عبدٍ لم يؤمن بها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء: ١٣٦]، وعدَّ النبي ﷺ من أركان الإيمانِ الإيمانَ بالكتب[١].

والإيمان بالكتب يشمل التصديق بها، والإيمان بأنّها منزلة من عنده على رسله، فما علمناه منها آمنّا به على سبيل التفصيل، وما لم نعلمه آمنّا به على سبيل الإجمال، وكذلك الإيمان بأنّ جميع الكتب نُسخَت بنزول القرآن، وأنها قد حُرِّفت وبُدِّلت إلا القرآن، قال تعالى: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾[فصلت: ٤٢].

المسألة الثانية: جميع الكتب المنزلة هي من كلام الله ﷻ.

جميع الكتب التي نزلت من عند الله هي من كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾[آل عمران: ٢ – ٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٧٥]، وهي التوراة[٢].

---

[١] كما رواه مسلم (٨).

[٢] ينظر: جامع البيان للطبري (٢/ ٢٤٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»[١].

المسألة الثالثة: خصائص القرآن الكريم.

للقرآن الكريم خصائص لم تكن موجودةً في الكتب السابقة، منها:

١- أنه كتابٌ شاملٌ عامٌّ للإنس والجنّ، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[الفرقان: ١].

٢- أنّه شريعة سمحةٌ، يسَّر الله حفظه وتدبره وأحكامه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر: ١٧-٢٢-٣٢-٤٠]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص: ٢٩].

٣- أنّ القرآن تكفّل الله بحفظه من التغيير والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

٤- أنّه آخر الكتب نزولاً وخاتمها ومهيمنًا عليها، وناسخًا لما قبله من الشرائع، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

[١] رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

٥- أنّ في القرآن بيانُ كلّ ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩].

٦- أنّ القرآن تضمّن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل.

٧- أنّه مشتملٌ على أخبار الرسل والأمم الماضية.

المسألة الرابعة: القرآن كلام الله غير مخلوق.

عقيدة أهل السنة والجماعة أنّ القرآن كلام الله، تكلم الله به حقيقةً فسمع جبريل كلام الله فبلغه لمحمّد ﷺ.

ودلّت الأدلة من القرآن والسنة والإجماع على ذلك، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] الذي هو القرآن.

٢- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾[الفتح: ١٥].

٣- قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

٤- قال رسول الله ﷺ: «أَحْسَنُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ»[١].

٥- وقال ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»[٢].

---

[١] رواه النسائي (١٣١١)، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

[٢] رواه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥٦)، وصححه الألباني.

٦- وقال ﷺ: «لاَ أَقُولُ ألم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[١].

٧- وقال ﷺ: «إِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ»[٢].

وهذا ما أجمع عليه أهل السنة، قال أبو القاسم الأصبهاني ﷺ مقرّرًا عقيدة أهل السنة: «فمذهبهم ومذهب أهل السنة جميعا أنّ القرآن كلام الله آية آية، وكلمة كلمة، وحرفا حرفا في جميع أحواله، حيث قرئ وكتب وسمع»[٣].

وقال عمرو بن دينار ﷺ: «أَدْرَكْتُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ دُونَهُمْ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: اللهُ الخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالقُرْآنُ كَلَامُ الله، مِنْهُ خرجَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ» [٤].

فالله متكلّمٌ ومن كلامه القرآن، وليس هو كلام أحد المخلوقين، فإضافته إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، والقاعدة أنّ الإضافة تقتضي التخصيص، فعندما يُضاف القرآن والكلام إلى الله فإنّه يختص به كما يليق بجلاله وكماله، فلا يقتضي ذلك تشبيهًا.

والمضاف إلى الله على نوعين:

الأول: مضافٌ إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

الثاني: مضافٌ إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق.

فالأول ضابطه أنّه مضافٌ موصوفٌ لا يقوم إلا بموصوف، كيد الله وكلام الله.

---

[١] رواه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني.

[٢] رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

[٣] الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٧٣).

[٤] رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٣٤٤) وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ١٨٦)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣٨١).

والثاني ضابطه أنّه مضافٌ مخلوقٌ قائمٌ بنفسه كناقة الله وبيت الله.

وعلى هذا يقال: إنّ القول بأنّ القرآن مخلوقٌ عقيدةٌ باطلةٌ كفريةٌ، وأول من قال بها الجعد ابن درهم، ثم نشرها عنه جهم ابن صفوان فنسبت إلي الجهمية، وهم يصرّحون بكونه مخلوقًا، ثم جاءت المعتزلة فقالت: هو كلام الله ويجعلونه مخلوقًا، وتأثر بعض أهل الكلام بالمعتزلة فجعلوا القرآن عبارةً عن كلام الله لا هو كلامه، ومرادهم أنّه كلام نفسي بلا حرف ولا صوت ويرجع قولهم إلى عقيدة الاعتزال.

فمن قال إنّ القرآن مخلوق فهو كمن قال إنّه كلام البشر، وقد ردّ الله على هذه العقيدة الفاسدة، قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾[المدثر: ٢٤ – ٢٦].

قال الطحاوي ﷺ: «فمن سمعه فزعم أنّه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر: ٢٦]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[المدثر: ٢٥]علمنا وأيقنا أنّه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر»[١].

المسألة الخامسة: ترتيب آيات وسور المصحف.

ترتيب آيات المصحف توقيفيٌّ، وهذا بالإجماع.

أما ترتيب السور ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنّه توقيفيٌّ.

الثاني: أنّه اجتهاديٌّ من فعل الصحابة ﷺ.

الثالث: أنّ ترتيب السور كان بعضهُ توقيفيًا.

---

[١] العقيدة الطحاوية – بتعليقات الألباني–(ص ٤٠-٤١).

ولهذا رتبه الصحابة ﷺ على أقسام:

فمصحف علي ﷺ مرتب على النزول فأوله «اقرأ» ثم «المدثر».

ومصحف ابن مسعود ﷺ أوله «البقرة» ثم «النساء».

وجمع القرآن مرّ بثلاثة مراحل:

الأولى: في عهد النبي ﷺ.

الثانية: في عهد أبي بكر ﷺ.

الثالثة: في عهد عثمان ﷺ.

والراجح أنّ ترتيب المصحف على ما هو عليه الآن توقيفيٌّ.

قد حمل بعض العلماء الأقوال على أن الخلاف فيها لفظيٌّ؛ فمالك ممّن يرى أنّه باجتهاد الصحابة ﷺ، وقال: «**إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ**»[١]، فآل الأمرُ إلى أنّه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد إسناد فعلي، وذِكْرُ هذا المبحث في علوم القرآن ككتاب الإتقان والبرهان وغيرهما.

[١] المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني (ص ١٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٦٠).

إِثْبَات العُلُوّ وَالاسْتِوَاء

٦٤- هَذَا هُوَ الحَقُّ، فَدَعْ عَنْكَ الهَوَى ... وَاللهُ رَبُّنَا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى

٦٥- لَكِنْ بِلاَ كَيْفَ وَلاَ تَمْثِيلِ ... جَلَّ فَنَزِّهْهُ بِلاَ تَعْطِيلِ

٦٦- فَالوَاجِبُ الإِيمَانُ بِاسْتَوَائِهِ ... وَلاَ نُفَسِّرُهُ بِاسْتِيلاَئِهِ

٦٧- إِلَيْهِ تَعْرُجُ المَلاَئِكُ العُلاَ ... وَالرُّوحُ وَالأَمْرُ، وَمِنْهُ أُنْزِلاَ

٦٨- وَالمُصْطَفَى بِهِ إِلَيْهِ أُسْرِي ... فَجَاوَزَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ، فَادْرِ

٦٩- فَطَيِّبُ القَوْلِ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ... وَفِطْرَةُ الخَلْقِ بِهَذَا تَشْهَدُ

٧٠- هَلاَّ سَأَلْتَ كُلَّ عَبْدٍ يَسْأَلُ: ... هَلْ نَفسُهُ تَجْنَحُ إِلاَّ لِلْعُلُوّ؟ !

٧١- وَأَنَّهُ قَدْ رَفَعَ ابْنَ مَرْيَمَا ... لَهُ، وَ سَمَّى نَفْسَهُ مَنْ فِي السَّمَا

٧٢- وَقَدْ أَشَارَ المُصْطَفَى بِالإِصْبَعِ ... نَحْوَ السَّمَاءِ مُشْهِدًا فِي مَجْمَعِ

٧٣- فَاللهُ ذُو العَرْشِ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ... وَعِلْمُهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْ حَوَى

الشرح

أولًا: المعنى الإجمالي للأبيات.

قرّر الناظم في هذه الأبيات عقيدة أهل السنة التي دلت عليها أدلة القرآن والسنة في إثبات علو الله واستوائه على عرشه، مع التأكيد على عدم تفسير الاستواء بالاستيلاء، ثم بين القاعدة في ذلك وهي الإثبات بلا تمثيل، وتنزيه الله بلا تعطيل.

وأشار ﷺ إلى أن أدلة العلو جاءت متنوعة، منها: ما دل على عروج الأشياء إليه، ونزولها من عنده، وفطرة الخلق، وإشارة المصطفى إلى العلو، والنص من القرآن أن الله في السماء.

ثانيًا: المسائل على وجه التفصيل:

المسألة الأولى: وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه وأنه لا يُفسَّرُ بالاستيلاء.

الكلام في التوحيد والصفات من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات من قبل الله ورسوله، فوجب أن يقابل بالتصديق والقبول من قبل المخاطب.

فاستواء الله على عرشه أخبر الله به في كتابه الذي هو أصدق الكلام وأحسنه وأكمله، فالواجب على المسلم إثبات ذلك لله وتصديقه، والإيمان به وقبوله، وقد جاء النص في إثبات استواء الله على عرشه، وأجمع على ذلك الأئمة.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، في ستة مواضع: في الأعراف، ويونس، والرعد، والفرقان، والسجدة، والحديد.

وهذا نصٌّ صريحٌ لا يقبل التأويل والتبديل، ولهذا أجمع العلماء من لدن الصحابة إلى الأئمة الأربعة ومن تبعهم على ذلك.

لمّا جاء رجل إلى مالك ابن أنس ﷺ فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكًا وجد من شيء كوجدته من مقالته وعلاه الرحضاء، وأطرق القوم، فجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه، قال: فسري عن مالك فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأخرج»[١].

---

[١] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٤٤١).

وذكر ابن زيد القيرواني ﷺ ما أجمع عليه أهل السنة فقال: «وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه»[١].

وقال أبو عمر الطلمنكي ﷺ: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأنّ الله تعالى فوق السموات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء، وقال أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ أن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز»[٢].

ومعنى الاستواء في اللغة معروف، وله أربعة معاني جاءت عن السلف: استقر، وعلا، وارتفع، وصعد.

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد صعد الذي هو أربع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره ... درى من الجهمي بالقرآن[٣]

وهذا يؤكد لنا حقيقة، وهي عدم تفسير الاستواء بالاستيلاء لا من جهة النص، ولا من جهة اللغة، قال أبو سليمان بن داود بن علي: «كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾؟ فقال: هو على عرشه كما أخبر ﷻ، فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه إنما معناه: استولى.

---

[١] الجامع (ص ١٤).

[٢] العلو للعلي الغفار للذهبي (ص ٢٤٦).

[٣] الأبيات لابن القيم في النونية.

قال: اسكت، ما أنت وهذا؟ لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد، فإذا غلب أحدهما قيل: استولى، أما سمعت قول النابغة:

ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد[١]

قال ابن عبد البر ﷺ: «وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الواحد الصمد»[٢].

فيكون الرد على الجهمية الذين فسروا الاستواء بالاستيلاء بعدة وجوه:

الأول: أن تفسيرهم مخالف للنص المطرد، وفي سياق النص ما يرد باطلهم: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[الفرقان: ٥٩]، فتأمل: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ بعد إثبات الاستواء يدل على أن الله العليم الخبير هو الذي وصف نفسه بالاستواء، فهل أنتم أعلم بالله من نفسه وصفاته؟!

الثاني: أن تفسيرهم مخالف للإجماع.

الثالث: أن تفسيرهم مخالف لما عليه أهل اللغة.

الرابع: أن تفسيرهم يلزم عليه لوازم باطلة من ذلك مغالبة الله لغيره، وهذا لازم باطل عقلاً ونصًّا؛ لأن سياق الآية يأباه غاية الإباء، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣].

---

[١] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٤٤٢).

[٢] التمهيد (٦/ ١٢٧).

فائدة: جاء لفظ استوى في القرآن على نوعين:

النوع الأول: مطلق كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[القصص: ١٤]، ومعناه كمل وتمّ.

النوع الثاني: مقيد، وهو على ثلاثة أضرب:

١ - مقيد بـ «إلى» كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ٢٩]، ومعناه العلو والارتفاع.

٢ - مقيد بـ «على» كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[الزخرف: ١٣]، ومعناه العلو والارتفاع.

٣-وهو زائد في كلام العرب مقرون بالواو، وهي بمعنى «مع» نحو: استواء الماء والخشبة.

فالواجب إثبات صفه الاستواء لله كما يليق بجلاله بلا تمثيل ولا تكييف.

المسألة الثانية: إثبات صفة العلو لله تعالى.

من عقيدة أهل السنة والجماعة التي دل عليه النص والإجماع والفطر والعقل علو الله تعالى، ومن الأدلة في ذلك:

أولا: أدلة القرآن والسنة، وقد جاءت متنوعة الدلالة في ذلك:

النوع الأول: التصريح بأن الله هو العلي المتعال والتنصيص على الفوقية، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾[سبأ: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل: ٥٠].

النوع الثاني: أدلة استواء الله على عرشه، فالاستواء علو خاص، والعرش أعلى المخلوقات، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[١].

النوع الثالث: التصريح بأنه في السماء، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك:١٦]، وهنا إما أن تكون «في» بمعنى «على»، وإما أن يكون المراد من السماء العلو.

النوع الرابع: التصريح بصعود الأشياء وعروجها إليه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر: ١٠]، وقال أيضًا: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج: ٤]، وقال أيضًا: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨]، ومنه عروج النبي ﷺ إليه في ليلة المعراج.

النوع الخامس: التصريح بنزوله ونزول الأشياء من عنده، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾[الشعراء: ١٩٣]، وقال رسول الله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ**» الحديث[٢].

النوع السادس: الإشارة إليه بالعلو، فقد أشار النبي ﷺ في خطبة الوداع إلى العلو، يقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»[٣]، وقد أقرَّ الجارية عندما سألها أين الله؟ قالت: «في السماء» وأشارت بأصبعها[٤].

ثانيًا: دليل الإجماع، فقد أجمع الصحابة والتابعون وأئمة الدين على إثبات علو الله تعالى.

---

[١] رواه البخاري (٢٧٩٠).

[٢] رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

[٣] رواه مسلم (١٢١٨)

[٤] رواه أبو داود (٣٤٢)، وينظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٣١٦١).

دليل الفطرة، فإن الله فطر الخلق على الإيمان بعلوه؛ لهذا يجد الداعي ضرورة في قلبه عند دعاء الله تدفعه إلى توجه قلبه إلى السماء ورفع يده إليها.

رابعًا: دليل العقل، وذلك أن العقل الصريح يثبت لله كل كمال، وصفة العلو صفة كمال، فوجب أن يثبت له صفة العلو، والعقل الصريح ينفي عن الله كل نقص، والسفل صفة نقص يجب تنزيه الله عنها وإثبات كمال ضدها وهو العلو.

وكل الأدلة التي استدل بها المعطلة أدلة دائرة بين ضعف وسوء فهم.

فمن أمثلة الأدلة التي لا أصل لها حديث: «كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما كان». حديث لا أصل له.

ومن أمثلة سوء الفهم تفسيرهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[الزخرف: ٨٤].

فهذه الأدلة ليست معناها أن الله في الأرض بذاته، فهذا لم ينقل عن أحد من السلف الصالح.

قال ابن كثير ﷺ: «اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال، بعد الاتفاق على تخطئة قول الجهمية الأول القائلين بأنه -تعالى عن قولهم علوًّا كبيرًا- في كل مكان»[١].

ومن أمثلة سوء الفهم تفسيرهم نصوص المعية بالمخالطة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]، فيجاب عليهم بما يلي:

١-أن المعية في اللغة مطلق المقارنة، والمصاحبة لا تستلزم المخالطة إلا بقرينة، فهي تارة تقتضي الاختلاط، وتارة التهديد، وتارة التأييد.

---

[١] تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٣٩-٢٤٠).

٢-أن النصوص الصحيحة القطعية لا تتعارض، وقد ورد نصان صحيحان قطعيان:

الأول: إثبات معية الله، والثاني: علو الله، ولا تعارض بينهما.

فالمعية العامة تحمل على العلم، والخاصة على التأييد، والعلو يحمل على الارتفاع، وقد جمع الله بينهما فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[الحديد: ٤].

فدلت الآية على استواء الله وعلوه، وأنه معلم أي بعلمه، لهذا بدأ الآية: ﴿يَعْلَمُ﴾، وختمها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

إِثْبَات الصِّفَات للهِ تَعَالى

٧٤- وَمَا اقْتَضَى التَّشْبِيهَ مِثْلُ العَيْنِ ... وَالوَجْـهِ وَالإِصْبَـعِ وَاليَدَيْـنِ

٧٥- نُؤْمِـنُ بِـهِ لَكِـنْ مَـعَ التَّنْزِيـهِ ... لَـهُ عَـنِ التَّمْثِيـلِ وَالتَّشْـبِيهِ

٧٦- فَـاللهُ لَيْـسَ مِثْلَهُ شَـيْءٌ، وَلاَ ... لَـهُ سَـمِيٌّ، جَـلَّ شَـأْنًا وَعَـلاَ

٧٧- فَذَاتُـهُ لاَ تُشْـبِهُ الـذَّوَاتِ ... وَوَصْفُـهُ لاَ يُشْـبِهُ الصِّفَـاتِ

٧٨- مَـنْ شَـبَّهَ اللهَ بِخَلْقِـهِ كَفَـرْ ... وَمَـنْ نَفَى صِفَاتِهِ أُصْلِي سَـقَرْ

٧٩- وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّهُم فِي الأُخْرَى ... يَـرَوْنَ رَبَّهُـمْ عِيَانًـا طُـرًّا

الشرح

أولًا: المعنى الإجمالي للأبيات.

يبين ﷺ أن ما اقتضى التشبيه، أي: توهم من التشبيه -وهذا فيه نظر- من الصفات كصفة العين والوجه والإصبع واليدين لله تعالى يجب الإيمان بها مع تنزيهها عن التمثيل والتشبيه؛ لأن الله ليس مثله شيء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]، وكما أن ذاته لا تشبه الذوات، فكذلك القول في صفاته أنها لا تشبه الصفات.

وبين ﷺ حكم من شبه الله بخلقه أو من نفى صفاته، وهو أن ذلك كفر، وقرر أنه مما يجب الإيمان به رؤية الله في الدار الآخرة.

ثانيًا: المسائل المتعلقة بهذه الأبيات:

المسألة الأولى: في كون صفات الله تقتضي التشبيه.

هذه مسألة دقيقة جدًا، فإطلاق القول بأن صفات الله تقتضي التشبيه إطلاقٌ غير صحيح، لعدة أسباب:

أولًا: أن ذلك الإطلاق يحتمل عدة احتمالات:

الأول: أن يراد به التشبيه المطلق، أي: التساوي من كل وجه، وهذا لا يقول به أحد، وهذا كفر.

الثاني: أن يراد به مطلق التشبيه، أي: التشابه في أصل المعنى المشترك، فهذا لا يصح نفيه؛ لأن ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك، وقدر مختص يتميز به كل واحد عن الآخر، فالله تعالى حَيٌّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨]، والإنسان موصوفٌ بالحياة، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾[الأنعام: ٩٥]، إلا أن حياة الله تعالى كاملة، وحياة الإنسان ناقصة.

ثانيًا: أن هذا التوهم أفضى ببعض الناس إلى نفي الصفات، وقعدوا على ذلك قاعدة فقالوا:

وكلُّ نـصٍّ أوهـم التشـبيها ... أوِّلـه أو فـوّض و رُمْ تنزيهـا

فنفوا صفات الله؛ لأنها تستلزم التشبيه، وهذا باطل، فإثبات صفات الله لا يستلزم التشبيه، وذلك بأصلين ومثالين:

الأصل الأول: أن إثبات ذات الله لا يستلزم منها التشبيه، فكذلك إثبات الصفات لا تستلزم التشبيه، فالقول في الذات كالقول في الصفات، وهذا ما قرر الناظم.

قال عبد العزيز آل مبارك ﷾: «الصفة فرع الذات، فكما نؤمن بوجود الذات المقدَّسة من غير تمثيل ولا تكييف؛ فكذلك الصفات»[١].

الأصل الثاني: أن إثبات بعض الصفات لا يستلزم التشبيه، فكذلك البعض الآخر لا يستلزم التشبيه؛ إذ القول في الصفات كالقول في البعض الآخر.

وأما المثال الأول: فإن الله أخبر أن في الجنة طعامًا وشرابًا، هذا كله ثابت على الحقيقة، موافقٌ لما في الدنيا في القدر المشترك في أصل المعنى لكنه مخالفٌ في الحقيقة، فاتفاقهما معًا في الدنيا في الأسماء لا يستلزم اتفاقهما في المسميات والحقائق، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٧]، فهناك تباينٌ بين هذه المخلوقات وإن اتفقت في الاسم، فإذا ظهر هذا التباين بين المخلوق والمخلوق كان التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأولى.

المثال الثاني: الروح التي هي أقرب شيء من الإنسان موجودة حقيقةً، عجز العقل عن إدراك حقيقتها إلا عن طريق الوحي، فجميع الناس يثبتونها ولا ينكرونها، وهي لا تماثل الأجساد، ولا تستلزم تشبيهًا بها، فإذا ثبتت الروح حقيقةً دون تشبيه فإثبات صفات الله أولى وأظهر.

ثالثًا: أن من توهم في إثبات الصفات التشبيه أو التمثيل وقع في عدة محاذير:

الأول: أنه فهمٌ وتوهمٌ خاطئٌ مخالف للنص.

الثاني: أنه تجنٍّ على النص حيث نفى ما دل عليه من معاني.

الثالث: أن توهم التشبيه جرَّ إلى نفي الصفات، ونفي الصفات يستلزم منه وصف الله بالنقائص.

---

[١] تدريب السالك (ص ٤٠).

إذًا عبارةُ المؤلف: «وَمَا اقْتَضَى التَّشْبِيهَ» عبارةٌ فيها نظرٌ، لكنه يقينًا لم يرد ما أراده النفاة؛ لأنه أثبت الصفات، فيحمل كلامه على محملٍ حسنٍ، وهو أنه ما اقتضى التشبيه عند من توهم التشبيه؛ لأنّه قال بعدُ:

نُؤْمِنُ بِهِ لَكِنْ مَعَ التَّنْزِيهِ ... لَهُ عَنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ

المسألة الثانية: الضابط العام في إثبات صفات الله تعالى.

نثبت لله من الصفات ما ورد في كتابه وسنه نبيه ﷺ الصحيحة مع تنزيه الله عن التمثيل والتشبيه، فعند النفي تنفى كل صفة عيب ونقصٍ في كماله، وعند الإثبات نثبت ما ورد به النص على وجه الكمال الذي لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه مع نفي التمثيل، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[النحل: ٦٠]، فأثبت الصفات الكاملة، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[الشورى: ١١]، فنفى مماثلته لخلقه.

فالضابط: أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول الله ﷺ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

المسألة الثالثة: إثبات جملة من الصفات الواردة في الأبيات.

الصفة الأولى: صفة العين لله تعالى.

مذهب أهل السنة أن لله عينين يبصر بهما حقيقةً على وجه الكمال اللائق بالله، وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه: ٣٩]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر: ١٤]، وقال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه: ٤٦].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[١]، وقال ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[٢].

الصفة الثانية: صفة الوجه لله تعالى.

فللّه تعالى وجها حقيقة يليق به ﷻ، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ»[٣].

الصفة الثالثة: صفة أصابع الرحمن.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»[٤]، ولما جاء يهوديٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر[٥].

الصفة الرابعة: صفة اليدين.

لله تعالى يدان كما يليق بجلاله وكماله، وهي صفة ذاتية ثابتة بالقرآن والسنة، قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، وقال رسول الله ﷺ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ»[٦].

---

[١] رواه البخاري (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣).

[٢] رواه مسلم (١٧٩).

[٣] رواه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني.

[٤] رواه مسلم (٢٦٥٤).

[٥] رواه البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).

[٦] رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

جملة من كلام أئمة الدين في الصفات.

قال أبو حنيفة رحمه الله: «وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفاتٌ بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته»[١].

وقال رحمه الله: «لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة»[٢].

قال الشافعي رحمه الله: «لله سبحانه وتعالى أسماء وصفات، جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته، لا يسع أحداً من خلق الله عز وجل قامت لديه الحجة ردها أن القرآن نزل به، وصح عنده قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه العدول خلافه، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله عز وجل، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ونحو ذلك.

إخبار الله عز وجل إيانا أنه سميع وأن له يدين... وأن له يميناً... وأن له وجهاً... وأن له قدماً... وأنه يضحك»[٣].

وقال الأشعري رحمه الله بعد تراجعه وتقريره لعقيدة أهل الحديث: «وأن الله سبحانه على عرشه... وأن له يدين بلا كيف... وأن له عينين بلا كيف... وأن له وجهاً بلا كيف»[٤].

---

[١] الفقه الأكبر (ص ٢٧).

[٢] الفقه الأكبر (ص ١٥٩).

[٣] اعتقاد الشافعي لأبي طالب العشاري (ص ١٦).

[٤] مقالات الإسلاميين (ص ٢٩٠).

يقول أبو محمد بن أبي زمنين ﷺ: «واعلم أنّ أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به ﷻ عن نفسه علمًا، والعجز عما لم يدع إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص: ٨٨]، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[الحجر: ٢٩]، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]»[١].

المسألة الرابعة: حكم من شبه الصفات أو عطلها.

بين العلماء خطر تشبيه صفات الله بصفات خلقه فقال نعيم بن حماد ﷺ: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه تشبيهًا»[٢]، وقال الإمام أحمد ﷺ: «من شبه الله بخلقه فهو كافر بالله العظيم»[٣]، وسبق كلام الشافعي، وقال الطحاوي ﷺ: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»[٤]، وقال إسحاق بن راهويه ﷺ: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحدٍ من خلق الله فهو كافرٌ بالله العظيم»[٥].

---

[١] أصول السنة (ص ٦٠).

[٢] العلو للعلي الغفار للذهبي (ص ١٧٢).

[٣] ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات للنووي (ص ٦٢).

[٤] العقيدة الطحاوية -بتعليقات الألباني- (ص ٤١).

[٥] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٥٨٨).

أما نفي الصفات فهو على نوعين:

النوع الأول: نفي تكذيب، فهذا كفرٌ.

النوع الثاني: إنكار وتأويل، وهو ضربان:

الأول: تأويل سائغ في اللغة، فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: تأويل غير سائغ في اللغة، فهذا موجب للكفر.

وهذا من باب الإطلاق لا التعيين؛ لأن التعيين يختلف باختلاف أحوال الأشخاص، وباب التكفير باب خطير لا بد فيه من علم وقدم راسخة من الحاكم، وانطباق الشروط وانتفاء الموانع على المحكوم عليه، فلا يجوز التساهل في التكفير؛ لأن ذلك فيه محذوران:

أ- افتراء الكذب على الله تعالى.

ب- الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالمًا منه[١].

يقول الشافعي ﷺ: «لأن أتكلم في علم يقال لي أخطأتَ، أحب إلي من أتكلم في علم يقال لي فيه كفرت»[٢].

المسألة الخامسة: رؤية الله في الدار الآخرة.

أجمع أهل السنة على رؤية الله في الدار الآخرة في عرصات يوم القيامة وفي الجنة، ودل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

---

[١] ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين (ص ٨٨).

[٢] ينظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/ ١٣٠).

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة: ٢٢– ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[١].

وعن ابن نافع وأشهب قالا –وأحدهم يزيد على الآخر– يا أبا عبد الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ ينظرون إلى الله ؟ قال: «نعم بأعينهم هاتين»، فقلت له: فإن قوماً يقولون لا ينظر إلى الله إن ﴿نَاظِرَةٌ﴾بمعنى منتظرة إلى الثواب قال: «كذبوا بل ينظر إلى الله أما سمعت قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾أفترى موسى سأل ربه محالاً ؟ فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾في الدنيا؛ لأنها دار فناء، ولا ينظر ما يبقى بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى، وقال الله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾»[٢].

وهذا فيه ردٌّ بينٌ على من يصرف لفظ ناظرة إلى منتظرة، إذ أنه يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار الثواب فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محله وعداه بحرف إلى التي إذا اتصل بها فعل النظر كان من نظر العين ليس إلا ووصف الوجوه بالنضرة التي لا تحصل إلا مع حضور ما يتنعم به لا مع التنغيص بانتظاره ويستحيل مع هذا التركيب تأويل النظر بغير الرؤية.

[١] رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

[٢] ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤٢).

الإيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَر

٨٠- وَكُلُّ مَـا قَـدْ قَـدَّرَهُ اللهُ وَمَـا ... قَضَـى بِـهِ إِيمَانُنَـا قَـدْ لَزِمَـا

٨١- فَـاللهُ خَالِـقٌ لِفِعْـلِ عَبْـدِهِ ... جَمِيعِهِ مِـنْ خَيْرٍ اوْ مِـنْ ضِدِّهِ

٨٢- لِأَنَّـهُ قَـدْ أَوْجَـدَ العِبَـادَا ... وَكُلَّ مَـا قَـدْ عَمِلُـوا إِيجَـادَا

٨٣- لَكِنْ يُلاَمُونَ عَلَى مَا كَسَبُوا ... إِذْ هُـوَ فِعْلُهُـمْ إِلَيْهِـمْ يُنْسَـبُ

٨٤- فَمَـنْ يَشَـأْ وَفَّقَـهُ بِفَضْلِـهِ ... وَمَـنْ يَشَـأْ أَضَلَّـهُ بِعَدْلِـهِ

٨٥- ثُمَّ الشَّـقِيُّ ذُو الشَّقَاءِ الأَزَلِيِّ ... كَعَكْسِـهِ فَلَيْـسَ بِالْمُنْتَقِـلِ

الشرح

أولًا: معنى الكلمات:

القدر: مصدر قدر يقدر تقديرًا، وهو من الإحاطة.

القضاء: يطلق على معانٍ ترجع إلى إنهاء الشيء وإتقانه وتمامه[١].

ثانيًا: المعنى الإجمالي للأبيات:

إن الإيمان بما قدره الله وقضاه واجبٌ من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا به، فالله خلق كل شيء وكتب ذلك وعلمه وشاءه، ومن ذلك أفعال العباد خيرها وشرها، فالله خلقها، وللعبد فعل ومشيئة داخلة في مشيئة الله؛ لهذا أفعال العبد تنسب إليه ويحاسب عليها.

---

[١] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ٧٨).

وبيّن أن الضلالة والهداية بيد الله فمن هداه الله فبفضلٍ منه، ومن أضله فبعدلٍ منه، فمن كتب الله عليه الشقاء في الأزل فهو شقيٌّ إلى الأبد، وعكسه من كتبه الله سعيدًا فهو السعيد إلى الأبد.

ثالثًا: مسائل المتعلقة بالأبيات:

المسألة الأولى: تعريف القضاء والقدر شرعًا.

ذهب بعض أهل العلم إلى أن القضاء والقدر بمعنى واحد في الشرع.

وذهب آخرون إلى أنهما كلمتان إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا، فإن اقترنتا كان معناهما علم الله بالأشياء وكتابته لها ومشيئته وخلقه، وإن اجتمعا ففي معناهما:

الأول: أن القدر هو التقدير الأزلي، أي: علم الله وكتابته، والقضاء هو الخلق.

الثاني: أن القضاء بمعنى حكم الله في الأزل، والقدر وقوعه بحسب القضاء السابق.

المسألة الثانية: الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان.

الإيمان بالقدر ركن من أركان الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[الأحزاب: ٣٨].

وفي حديث جبريل عليه السلام قال النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ**»[٢].

---

[١] تقدم تخريجه.

[٢] رواه مسلم (٢٦٥٥).

وقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بنيإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[١].

فالقدر بحر لا ساحل له ولا خروج عنه لأحد من العالمين، والشرع فيه سفينة النجاة من ركبها نجا، ومن تخلف عنها كان من المغرقين.

المسألة الثالثة: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

فالإيمان بالقضاء والقدر لا يتحقق إلا بعد اعتقاد أن كل ما في هذا الكون من الأعيان والأفعال فهو داخلٌ في علم الله وكتابته له ومشيئته وخلقه، وهذه هي مراتب الإيمان بالقدر:

عِلْمٌ كِتابةُ مولانا مشيئَتُهُ ... وخَلْقُهُ وهو إيجادٌ وتكوينُ

قال أبو حازم ﷺ: «إن الله علم قبل أن يكتب، وكتب قبل أن يخلق فمضى الخلق على علم الله وكتابه»[٢].

فالمرتبة الأولى: علم الله لكل شيء جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا، وأنه لا يعزب عن علمه شيء أبدًا لا من أعيان المخلوقات ولا من أفعالهم ولا مآلاتهم، وعلمه متعلقٌ بالموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

---

[١] رواه أبو داود (٤٧٠٠)، وصححه الألباني.

[٢] الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري (٤/ ٢٢٩-٢٣٠).

قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾[الحج: ٧٠].

والمرتبة الثانية: كتابة الله جميع ما سبق في علمه في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[يس: ١٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ كُلِّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[١].

المرتبة الثالثة: مشيئة الله، فكل ما يقع في هذا الكون حاصلٌ بمشيئة الله وإرادته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الأنعام: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

المرتبة الرابعة: خلق الله، وهو أن الله خالق كل شيء، فكل ما في هذا الكون فهو مخلوق لله، ذاتُه وصفاتُه وأفعالُه كلها مخلوقةٌ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾[الفرقان: ٢].

تنبيه على مسألة الفرق بين الإرادتين:

تنقسم الإرادة إلى قسمين:

القسم الأول: إرادة كونية قدرية، وهي مرادفة للمشيئة، وهي التي أراد الله حصولها كونًا وقدرًا، قال تعالى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾[هود: ٣٤].

---

[١] رواه مسلم (٢٦٥٣).

القسم الثاني: إرادة شرعية، وهي التي أراد الله حصولها شرعًا، فأمر بها وأحبها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾[النساء: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

ويجب التفريق بينهما: فالإرادة الكونية لا يلزم منها حب متعلقها، فقد لا يحبها، ولابد من وقوع متعلقها، ولا تستلزم الأمر، والإرادة الشرعية يحب الله متعلقها، وقد تقع وقد لا تقع، وتستلزم الأمر.

المسألة الرابعة: أنه لا تعارض بين إثبات مشيئة الله وخلقه لأفعال العباد وبين كون العبد فاعلاً بمشيئته.

فأفعال العباد خيرها وشرها داخلةٌ في مشيئة الله وهو خالقٌ لها، والعباد فاعلون لها حقيقةً، ولهم مشيئة وقدرة على فعلها، قال تعالى في قصة محاورة إبراهيم لقومه: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[الصافات: ٩٥ - ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَا﴾[الأنعام: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[التكوير: ٢٨ – ٢٩].

فدلت الأدلة على إسناد الفعل إلى العبد وأنه هو قائمٌ بها حقيقة، وأنه يثاب ويعاقب على فعله، ودلت على أن له قدرة واستطاعة، وأن له مشيئة واختيار لكن كل ذلك لا يخرج عن علم الله وكتابته ومشيئته وخلقه، قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[الإنسان: ٢٩ – ٣٠]، وقال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[التكوير: ٢٨ – ٢٩].

وهنا حدث الغلط عند الفرق:

فمنهم من قال: إن العبد مجبور على فعله، وهم الجبرية.

ومنهم من قال: إن العبد خالق فعل نفسه، وهم القدرية.

ومنهم من قال: إن العبد قادر فاعل لكن ليس لقدرته تأثير وهذا جبرٌ خفيٌّ.

المسألة الخامسة: الهداية والضلال بيد الله ﷻ.

فالله تعالى يختص بالهداية من يشاء من عباده: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[الكهف:١٧]، وهذا الاختصاص محضُ فضلٍ منه على من يشاء من عباده: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤]، وهذا الاختصاص راجعٌ إلى علم الله وحكمته: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحجرات: ٧ - ٨].

وتفضل الله للعبد بالهداية على وجهين:

١- أن يبتدئ الهداية في قلبه لمن علم أنه أهلٌ لها، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الأنعام: ١٢٢].

٢- إعانته على العمل بالهداية وتثبيته عليها، فيزداد بذلك هداية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[محمد: ١٧].

وأما الإضلال فهو بيدِ الله، فالله شاءه كونًا، قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وهذا الإضلال للعبد هو محض عدلٍ من الله؛ لأن الله أقام الحجة، وأوضح السبيل، وأنزل الكتب، وأعطى آلة السمع والبصر والقلب، فقامت حجة الله على عباده، فبحكمة من الله يضل من يشاء لكونهم ليسوا أهلاً للهداية: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام: ٢٨].

وهذا الإضلال عقوبةٌ للعبد من الله لوجهين:

١- عقوبة على عدم إيمانهم ابتداءً، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام: ١١٠].

٢- عقوبة لهم لاتباعهم الباطل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[البقرة: ١٠].

المسألة السادسة: مراتب القضاء والقدر يدخل فيها ثلاث تقديرات تفصيلية تفصيل للتقدير العام، وهي ثلاثة:

١- **التقدير العمري**، هو تقدير ما يجري على العبد في حياته إلى انتهاء أجله، قال رسول الله ﷺ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»[١]، وفي الحديث: «**فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»[٢].

٢- **التقدير السنوي**، وهو حولي، وهو ما يجري للعبد في سنته، وذلك التقدير ليلة القدر، قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾[الدخان: ٤].

٣- **التقدير اليومي**، وهو تنفيذ كل ذلك في يوم في موضعه.

وزاد بعضهم التقدير البشري، ويسميه بعضهم العمري كحافظ الحكمي في «أعلام السنة المنشورة»[٣]، وهو ما أخذه الله من ميثاق الخلائق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾[الأعراف: ١٧٢]، وهو داخل في التقدير العمري.

---

[١] رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

[٢] رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

[٣] (ص ٨١-٨٢).

الإيمَانُ بِالرُّسُل

٨٦- وَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى الرُّسُلاَ ... لِقَطْعِ أَعْذَارِ الوَرَى تَفَضُّلاَ

٨٧- وَالصِّدْقُ وَالتَّبْلِيغُ وَالأَمَانَهْ ... فِي حَقِّهِمْ يَلْزَمُ كَالصِّيَانَهْ

٨٨- عَنْ مُطْلَقِ الذُّنُوبِ وَالرَّذَائِلِ ... إِذْ شَأْنُهُمْ حِيَازَةُ الفَضَائِلِ

٨٩- وَمَنْ أَجَازَ كِذْبَهُمْ لِلْمَصْلَحَهْ ... فَكَافِرٌ، رِدَّتُهُ مُتَّضِحَهْ

٩٠- ثُمَّ نُبُوَّةُ النَّبِيِّينَ هِبَهْ ... مِنْ رَبِّهِمْ ذي الفَضْلِ لاَ مُكْتَسَبَهْ

٩١- ثُمَّ جَمِيعُ الأَنْبِيا وَالرُّسُلِ ... بَيْنَهُمْ تَفَاوُتٌ فِي الفَضْلِ

٩٢- لَكِنَّهُمْ قَدْ خُتِمُوا بِالأَفْضَلِ ... مِنْهُمْ نَبِيَّنَا خِتَامِ الرُّسُلِ

٩٣- فَلاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ، كَلاَّ، وَلاَ ... مُبَشِّرًا أَوْ مُنْذِرًا أَوْ مُرْسِلاَ

٩٤- فَمَا لِشَرْعِ دِينِهِ مِنْ نَاسِخِ ... وَمَا لِعَقْدِ حُكْمِهِ مِنْ فَاسِخِ

٩٥- وَكُلُّ شَرْعٍ قَبْلَ شَرْعِهِ نُسِخْ ... بِشَرْعِهِ الزَّاكِي الَّذِي لاَ يَنْتَسِخْ

٩٦- لَكِنَّ شَرْعَهُ الزَّكِيَّ المَرْضِيِّ ... يَجُوزُ نَسْخُ بَعْضِهِ بِالبَعْضِ

٩٧- لِحِكْمَةٍ وَسِرِّ أَمْرٍ مَقْضِي ... وَلَيْسَ فِي ذَاكَ لَهُ مِنْ نَقْضِ

٩٨- وَأَيَّدَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ ... بِمُعْجِزَاتٍ بَاهِرَاتِ العَقْلِ

٩٩- كَيْ يُلْزِمَ الحُجَّةَ أَهْلَ الجَهْلِ ... وَكُلُّ ذَا عَلَى سَبِيلِ الفَضْلِ

١٠٠- وَأَيَّدَ اللهُ نَبِيَّنَا بِمَا ... أَيَّدَ رُسْلَهُ بِهِ وَأَعْظَمَا

١٠١- فَمُعْجِزَاتُ المُصْطَفَى لاَ تُحْصَى ... عَدًّا، وَلاَ تُوعَى وَلاَ تُسْتَقْصَى

١٠٢- مِنْهَا: كَلاَمُ اللهِ نِعْمَ المُعْجِزُ ... بَحْرٌ مُحِيطٌ بِالعُلُومِ مُوجَزُ

١٠٣- مَا مِثْلُهُ فِي الحُسْنِ وَالصِّيَاغَهْ ... قَدْ عَجَزَتْ عَنْ مِثْلِهِ البَلاَغَهْ

١٠٤- وَقَدْ تَحَدَّى اللهُ سَائِرَ البَشَرْ ... وَالجِنَّ مِنْ ذَاكَ بِأَقْصَرِ السُّوَرْ

١٠٥- فَأَحْجَمُوا عَنْ ذَلِكَ المَيْدَانِ ... وَلَمْ يَكُنْ لَهُمِ بِهِ يَدَانِ

١٠٦- ثُمَّ بِمِعْرَاجِ النَّبِيِّ - حَسْبَمَا ... أَخْبَرَنَا - إِيمَانُنَا قَدْ لَزِمَا

١٠٧- أُسْرِيَ بِرُوحِهِ وَبِالجِسْمِ مَعَا ... عَلَى البُرَاقِ لَيْلَةً فَارْتَفَعَا

١٠٨- فَجَاوَزَ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ العُلاَ ... وَقَدْ رَأَى اللهَ إِلَهَهُ عَلاَ

١٠٩- وَقَدْ دَنَا مِنْ رَبِّهِ فَأَوْحَى ... إِلَيْهِ - جَلَّ شَأْنُهُ - مَا أَوْحَى

١١٠- هَذَا هُوَ الحَقُّ، فَدَعْ عَنْكَ المِرَا ... وَكَمْ لِرُسْلِ اللهِ مِنْ فَضْلٍ جَرَى

الشرح

أولا: معنى المفردات.

الصيانة: صان الشيء يصونه فهو مصون، وهي الحفظ من النقص والتغيير.

الردة: هي الرجوع، وهي رجوع المسلم من الإسلام إلى الكفر بناقض قولي أو فعلي أو اعتقادي.

النسخ: لغةً: الإزالة والرفع، وفي الاصطلاح: رفع الحكم الثابت بخطابٍ متقدم، بخطابٍ متراخٍ عنه.

الباهرات: جمع باهرة، وهي الظاهرة القوية تخطف البصر والبصيرة.

ثانيًا: المعنى الإجمالي.

الإيمان بالرسل ركنٌ من أركان الإيمان، أرسلهم الله لقطع الحجة على الناس، دعوا إلى توحيد الله، فبلغوا وصدقوا وصانوا الرسالة، وأدوها بأمانة، وهم معصومون من الخطأ، كما بين أن من اعتقد أن الرسل تكذب على الله لمصلحة فهذا كفرٌ وردّةٌ، وكذلك وبين أن النبوة هبة من الله وفضل منه لا مكتسبة ولا وراثة.

ومن الإيمان بالرسل الإيمان بأنهم يتفاضلون فيما بينهم، وأفضلهم محمد ﷺ خاتمهم، لا نبي بعده، ولا ناسخ لشرعه.

وبين الناظم أن الله أيد الرسل بالمعجزات والآيات الباهرات تفضلاً منه لقطع حجج وجدل أهل الجهل.

وبين أن الله أيّد نبينا محمّدًا ﷺ بما أيّد به رسله وأعظم، وذكر من معجزاته القرآن، والإسراء والمعراج.

ثالثًا: المسائل التفصيلية على هذه الأبيات.

المسألة الأولى: التعريف بالرسول والنبي.

الرسول هو إنسان ذكر حرٌّ، أوحي إليه بشرع لقومٍ مخالفين، والنبي من يعمل بشريعة من قبله لقوم موافقين، والرسول أعلى رتبة من النبي، فكل رسول نبي وليس العكس.

المسألة الثانية: الإيمان بالرسل ركنٌ من أركان الإيمان.

الإيمان بالرسل كلهم ركنٌ من أركان الإيمان، لا يجوز التكذيب بواحدٍ منهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء: ١٠٥]، وقال رسول الله ﷺ كما في حديث جبريل عليه السلام: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ» الحديث[١].

والإيمان بالرسل يكون بما علم على وجه التفصيل، وما لم يعلم على وجه الإجمال، قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر: ٧٨].

المسألة الثالثة: الحكمة من بعث الرسل إقامة الحجة.

أرسل الله الرسل لإقامة الحجة عليهم فقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[النساء: ١٦٥].

فالله من عدله وحكمته لم يكن ليعذبهم حتى يبعث فيهم رسولًا من أنفسهم قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥].

وأخبر الله أنه لو عذبهم قبل هذا مع علمه بانحرافهم لاحتجَّ الناس بعدم إرسال الرسل فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[طه: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص: ٤٧].

المسألة الرابعة: النبوة هبةٌ من الله وصفات لازمة في الرسل.

النبوة هبة من الله يصطفي الله بها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[الحج: ٧٥].

---

[١] تقدم تخريجه.

فالنبوة ليست قضية مكتسبة راجعة إلى قوة السمع والبصر والقلب كما تقوله الفلاسفة.

وجميع الأنبياء والرسل أفضل من جميع الخلق، وهم متفاضلون فيما بينهم، فأفضل الرسل أولو العزم: نوح وموسى وعيسى وإبراهيم ومحمد، وأفضلهم محمد ﷺ.

وجميع الرسل موصوفون بصفات لازمة لهم، لا يجوز وصفهم بغيرها:

الأولى: الصدق.

الثانية: التبليغ.

الثالثة: الأمانة.

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة: ٦٧].

الرابعة: الصيانة: لا تقع منهم الذنوب.

قال الناظم:

كَالصِّيَانَـةْ عَـنْ مُطْلَـقِ الذُّنُـوبِ

أي: عن الوقوع في الذنوب، ومن باب التفصيل هذه المسألة على حالات:

الأولى: اتفق العلماء على عصمة الأنبياء من الشرك قبل النبوة وبعدها.

الثانية: اتفقوا على عصمتهم من الخطأ فيما يبلغون به عن الله تعالى.

الثالثة: جمهور العلماء على جواز وقوع الكبائر منهم قبل النبوة لا بعدها.

الرابعة: أما الصغائر ففي وقوعهم فيها بعد النبوة خلافٌ، والراجح التفصيل:

فما كان مؤثرًا على الرسالة والتبليغ فهو ممتنع، وما لم يكن مؤثرًا فهذا قد يقع ولكنه لا يزدري بمراتبهم، وأنه لو وقع فإنهم يتداركونه بالتوبة.

المسألة الخامسة: الإيمان بالنبي محمد ﷺ.

النبي محمد ﷺ أفضل الرسل وخاتمهم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، ودعوته عامة لجميع الثقلين قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وأنه لا نبي بعد محمد ﷺ، قال ﷺ: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي**»[١].

وقد نسخ الله ببعثة محمد ﷺ جميع الشرائع السابقة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨].

فالقرآن مصدقٌ لما فيها من الحق، ومحافظٌ على ما فيها من صدق، وناسخٌ لشرائعها، قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[٢].

ولكن في شرعه ما ينسخ بعضه بعضًا، والنسخ في شريعة محمد ﷺ لا يدخل في التوحيد والأخبار، وإنما في الأحكام، وهو على ثلاثة أقسام:

---

[١] رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

[٢] رواه مسلم (١٥٣).

الأول: ما نسخ حكمه وبقي لفظه كآية المصابرة.

الثاني: ما نسخ لفظه وبقي حكمه كآية الرجم.

الثالث: ما نسخ حكمه ولفظه كنسخ عشرة رضعات.

وهذا النسخ له حِكَمٌ، وليس ذلك نقصٌ، فمن حِكَمِه:

١- مراعاة مصالح العباد بتشريع ما هو أنفع لهم في دينهم ودنياهم.

٢- التطور في التشريع حتى يبلغ الكمال.

٣- اختبار المكلفين باستعدادهم لقبول التحويل.

٤- اختبار المكلفين بقيامهم بشكر الله على التخفيف والصبر على التثقيل.

المسألة السادسة: تأييد الله رسلَهُ بالمعجزات.

قد أيد الله تعالى الرسل بالآيات الباهرات، وقد أخبر الله أن آية موسى عليه السلام العصا، وعيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص والأعمى، وصالح عليه السلام الناقة.

قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ**»[١].

وفي هذه المسألة عدة فروع:

الأول: تعريف المعجزة.

المعجزات: أمور خارقة للعادة يؤيد الله بها أنبيائه ورسله، فالله يجري على أيدي رسله من الآيات والأمور الخارقة للسنن الكونية المعتادة، ما لا يقدر البشر على

---

[١] رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

الإتيان بمثلها، وهذا اللفظ -المعجزة- لم يرد في القرآن ولا السنة، ولا على لسان الصحابة، فالأفضل التعبير بالآيات عن المعجزات.

أما من قال: «أمور خارقة للعادة»، فهذا يشترك مع الكرامات وهو أمر نسبي.

والمعجزات ليست هي الدليل الواحد على نبوة الرسل، بل تثبت نبوتهم بأمور:

١- الآيات المعجزات.

٢- ما يجريه الله من أحوال النبي في خبره ونهيه وأمره مما يتضمن الدلالة على الصدق.

٣- ما يكون من نصر الله لهم وتأييدهم على عدوهم مع خذل مدعي النبوة.

الثاني: أن الله أيد النبي ﷺ بما أيد الله به رسله وأعظم.

فكل ما أيد الله به الرسل السابقة من آياتٍ فللرسول محمد ﷺ الأعظم، والآيات التي أيد الله بها النبي محمد ﷺ كثيرة منها:

الأولى: وهي أعظمها القرآن كلام الله، بحر العلوم، أحسن عبارة، وأجمل صياغة، وأبلغ واعظ، تحدى الله قريشًا وهم أفصح العرب بمثله فما استطاعوا، وبعشر آيات وبواحدة فما استطاعوا، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨].

الثانية: الإسراء إلى بيت المقدس بالبراق والعروج إلى السماء السابعة، وهذا كله في ليلة واحدة، وهل رأى ﷺ اللهَ رؤية بصرية؟

الجواب: الراجح أنه لم يره بعينيه وإنما قال ﷺ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟**»[١].

---

[١] رواه مسلم (١٧٨).

الثالثة: ومن معجزات النبي ﷺ على سبيل الإجمال:

- انشقاق القمر.
- تسليم الحجر.
- حنين الجذع.
- نبع الماء من بين أصابعه.
- شفاء المرضى، وبرد الرمد.
- رد عين من سقطت.
- تفجر الماء في عين تبوك وبئر الحديبية.
- إشباع الجمع الكثير بالطعام القليل.
- إخباره بالغيب وما مضى وما يأتي.

عقيدة أهل السنة في زوجات النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم

١١١- وَمِنْ جَمِيعِ السُّوءِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ... بَـرِّئْ فَقَدْ طِبْـنَ لِـذَاكَ الطَّيِّبِ

١١٢- فَمَـا زَنَـتْ زَوْجُ نَبِـيٍّ قَـطُّ ... حَاشَا - وَمَا زَنَى، عَدَاهُ السُّخْطُ

١١٣- وَأَفْضَلُ القُرُونِ قَرْنُ المُصْطَفَى ... فَمَـنْ قَفَاهُمْ ثُـمَّ مَنْ لَهُـمْ قَفَا

١١٤- وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الصِّدِّيقُ ... ذُو السَّـبْقِ عَبْـدُ اللهِ أَوْ عَتِيـقُ

١١٥- ثُمَّ المُكَنَّى بِأَبِي حَفْصٍ عُمَرْ ... ثُمَّ ابنُ عَفَّانَ الشَّـهِيدُ ذُو الغُرَرْ

١١٦- ثُمَّ عَلِـيٌّ، ثُمَّ بَاقِي العَشَـرَهْ ... فَالبَدْرِ فَالأُحْدِي، فَأَهْلُ السَّمُرَهْ

١١٧- وَالكَفُّ عَمَّا بَيْنَهُمْ قَدْ شَجَرَا ... حَتْمٌ، فَإِنْ خُضْتَ فَكُنْ مُعْتَذِرًا

١١٨- وَمَالِكٌ، وَالفَاضِلُ النُّعْمَانُ ... وَالشَّـافِعِيُّ، وَالرَّضِي سُـفْيَانُ

١١٩- وَاللَّيْثُ، وَالحَبْرُ الإِمَامُ أَحْمَدُ ... وَالظَّاهِـرِيُّ الفَاضِـلُ المُعْتَمَدُ

١٢٠- وَنَحْوُهُـمْ أَئِمَّـةٌ يَهْدُونَـا ... بِالحَـقِّ أَيْضًـا وَبِـهِ يَقْضُونَـا

١٢١- وَلَمْ يَجِبْ تَقْلِيدُهُمْ إِلاَّ لِمَنْ ... يَعْجِزُ عَنْ فَهْمِ الكِتَابِ وَالسُّنَنْ

الشرح

أولا: معنى الكلمات.

ذو الغرر: أي: ذو الكرم، قال ابن فارس: «وغرَّة كلِّ شيءٍ: أكرمُه»[١].

---

[١] معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٢).

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

يقرر الناظم أن من عقيدة أهل السنة تبرئةُ زوجات النبي ﷺ من كل سوء ومن الفواحش؛ لأن القاعدة أنه لم تزنِ زوجة نبي قط وكذلك النبي ﷺ.

ثم انتقل إلى تقرير عقيدة الإسلام في صحابة الرسول ﷺ فبين أن أفضل القرون قرن النبي ﷺ، ثم الصحابة، ثم التابعين، كما جاء في ذلك النص وعلى التفصيل في فضل الصحابة أفضلهم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ثم بقية العشرة: سعيد وسعد وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وأبو عبيدة بن الجراح، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم.

ومما يجب اتجاه الصحابة الكفُّ عما شجر بينهم، والاعتذار لهم، وحمل فعلهم على أحسن المحامل.

ثم انتقل إلى بيان فضل الأئمة والعلماء، وأنهم إلى الحق يهدون وبه يقضون، وذكر منهم الأئمة الأربعة، وسفيان، والليث بن سعد، وابن حزم الظاهري، وأشار إلى أنهم وإن كانوا أئمة إلا أنهم لا يُقلَّدون إلا لمن عجز عن فهم الكتاب والسنة.

ثالثًا: شرح الأبيات على وجه التفصيل.

المسألة الأولى: عقيده أهل السنة في زوجات النبي ﷺ.

زوجات النبي ﷺ من آل بيته، وقد دل على فضلهن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣]، وقال رسول الله ﷺ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[١].

---

[١] رواه مسلم (٢٤٠٨).

ومما يجب على المسلم اتجاههن تعظيمهنَّ ومحبتهنَّ؛ لأنهنّ أمهات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾[الأحزاب: ٦].

قال القرطبي ﷺ: «شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي: في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال، وحرمة النكاح على الرجال»[١].

قال القاضي عياض ﷺ: «ومن توقيره ﷺ وبرّه برُّ آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه»[٢].

ومما يجب اتجاههن ﷺ تبرئتهن من السوء والفاحشة؛ لأن القاعدة العامة المطردة أنه لم تزن زوجة نبي قط.

قال تعالى مبرئًا عائشة ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[النور: ١١].

قال الإمام مالك ﷺ: «من سب عائشة قُتِل، قيل له لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن، وقال ابن شعبان عنه لأن الله يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[النور: ١٧]، فمن عاد لمثله فقد كفر»[٣].

والطعن في عائشة كفر بالإجماع، قال القاضي أبو يعلى: «من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف»، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، و صرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم[٤].

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٢٣).

[٢] الشفا بتعريف حقوق المصطفى-ط مع حاشية الشمني- (٢/ ٤٧).

[٣] ينظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ٣٠٩).

[٤] ينظر: الصارم المسلول لابن تيمية (١/ ٥٦٨).

ومن قذف غير عائشة فهو كقذف عائشة على الأصح، وجاء عن ابن عباس ﷺ ذلك[١]، وذلك لاتفاق الحكم والعلة؛ لأنّ قذف عائشة وغير عائشة فيه من العار والأذى والتنقص بالنبي الشيء العظيم، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[الأحزاب: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾[النور: ٢٦]، فمن رمى زوجته لزم منه رميه بالخبث، وحاشاه ﷺ وحاشا أزواجه ﷺ.

وزوجات النبي ﷺ أولهن خديجة بنت خويلد الأسدية، وتوفيت قبله هي وزينب بنت خزيمة الهلالية.

وتوفي عن تسع نسوة:

١- عائشة بنت الصديق.

٢- حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٣-سودة بنت بن زمعة العامرية.

٤-أم سلمة بنت أمية المخزومية.

٥- جويرية بنت الحارث.

٦-أم حبيبة بنت أبي سفيان.

٧- ميمونة الهلالية.

٨- زينب بنت جحش الأسدية.

٩- صفية بنت حيي الإسرائيلية[٢].

---

[١] رواه الطبري في جامع البيان (١٩/ ١٣٩).

[٢] ينظر: الجامع لابن أبي زيد (ص ١٦٢).

المسألة الثانية: عقيدة أهل السنة في الصحابة.

يعتقد أهل السنة والجماعة محبة صحابة رسول الله ﷺ، وأنهم أفضل الخلق بعد الرسل، ويعتقدون أنهم يتفاضلون بينهم، ويُحرِّمُون سبَّهم، والطعن فيهم، ويتهمون من طعن فيهم في دينه، وهم مع هذا يكفون عما شجر بينهم.

وهذا فقرات مهمة:

الأولى: محبة الصحابة والدعاء والاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠]، وقال ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[١]، قال الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم»[٢].

الثانية: اعتقاد فضلهم وعدالتهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾[التوبة: ١٠٠]، وقال ﷺ: «**لا تَسبُّوا أَصْحَابِي**»[٣].

الثالثة: اعتقاد تفاضلهم.

فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ثم باقي العشرة: طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وعامر بن الجراح، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، والمهاجرون أفضل من الأنصار.

---

[١] رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

[٢] العقيدة الطحاوية-بتعليقات الألباني- (ص ٨١).

[٣] رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

رابعًا: السكوت عما شجر بينهم وعن ذكر مساوئهم، قال رسول الله ﷺ: «**إذا ذُكِرَ أصْحابِي فأمْسِكُوا**»[١]، وهذا محل إجماع.

خامسًا: بغض من يبغضهم، قال الطحاوي: «ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم»[٢].

والذين يبغضون الصحابة أصناف:

الأولى: الرافضة، يكفرون جل الصحابة، ويطعنون في عائشة.

الثانية: الخوارج يكفرون عثمان وعلي رضي الله عنهما.

الثالثة: المعتزلة يفسقون أصحاب الوقعتين -الجمل وصفين- ويطعنون في معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

الرابعة: النواصب يبغضون عليًّا رضي الله عنه وآل البيت.

المسألة الثالثة: خير القرون والارتباط بالأئمة.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]، وهي الصحابة كما في تفسير الطبري[٣].

وقال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[٤].

---

[١] رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤).

[٢] العقيدة الطحاوية -بتعليقات الألباني- (ص ٨١).

[٣] (٧/ ١٠٤).

[٤] رواه أحمد في المسند (٣٥٩٤).

وفي صحيح البخاري[١] قرنين بعد قرنه، وجاء في صحيح مسلم[٢] الشك في الثالث، ففي مسلم: ثم يكون بعدهم قوم يشهدون.

فالقرن أهل زمان واحد، قيل: ثمانون سنة، وقيل: ستون سنة.

فالقرن الأول قرن الصحابة وهو أفضلها.

والقرن الثاني قرن التابعين.

والقرن الثالث قرن تابعي التابعين.

قال القرطبي رحمه الله: «ويعني: أن هذه القرون الثلاثة أفضل مِمَّا بعدها إلى يوم القيامة، وهذه القرون في أنفسها متفاضلة... فأما أفضلية الصحابة، وهم القرن الأول على من بعدهم فلا تخفى... وأما أفضلية من بعدهم، بعضهم على بعض، فبحسب قربهم من القرن الأول... وكذلك الأمر في الذين بعدهم، ثم بعد هذا غلبت الشرور»[٣].

ولا يزال باقيًا في هذه الأمة الخير فيمن تبع القرون الأولى، بطريقتهم وفهمهم ومنهجهم صلاح العباد والبلاد لهذا قال مالك رحمه الله: «لن يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»[٤].

وإنما يكون هذا الصلاح بالارتباط بالأئمة والعلماء ممن هم مرتبطون فهمًا ومنهجًا وعملاً بالقرون الأولى، وقد بين النبي ﷺ أن النجاة بلزوم طريقهم في حديث الافتراق[٥]، وبين النبي ﷺ أن ذهاب العلماء سبب لحلول الفتن فقال: «إِنَّ اللهَ

---

[١] (٢٦٥٢).

[٢] (٢٥٣٣).

[٣] المفهم (٦/ ٤٨٦).

[٤] ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص ٣٦٧).

[٥] رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٦٥٩).

لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ» الحديث[١].

ومن هنا أتى تأكيد العلماء بالارتباط بالعلماء والحذر ممن تشبه بهم وهو ليس منهم، فنص الناظم على ذكر الأئمة الأربعة وابن حزم، إذ بهم يعرف الهدى، فالواجب تقديرهم وتبجيلهم وتحبيب الخلق فيهم مع عدم التعصب لهم.

قال الصابوني ﷺ: «وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة، وعلمائها وأنصارها وأوليائها... وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جَلَّ جَلَالُهُ ومنّة»[٢].

أَئِمَّـةُ النَّقْـلِ وَالتَّفْسِـيْرِ لَيْـسَ لَهُـمْ ... سِوَى الْكِتَابِ وَنَصِّ الْمُصْطَفَى سَنَدُ

أَحْبَـارُ مِلَّتِـهِ أَنْصَـارُ سُـنَّتِهِ ... لاَ يَعْدِلُـوْنَ بِهَـا مَـا قَالَـهُ أَحَـدُ

أَعْلاَمَهَـا نَشَـرُوا أَحْكَامَهَـا نَصَـرُوا ... أَعْدَاءَهَـا كَسَـرُوا نُقَّالَهَـا نَقَـدُوا

ومن توقيرهم ومحبتهم المحافظة على تراثهم والذب عنهم؛ لأن من طريقه أهل الزيغ والأهواء الوقيعة في أهل الحق وفي كتبهم، إذ لا يروج باطلهم إلا بالطعن في أهل الحق الذين يهدُّون أركان باطلهم.

وقد نبه العلماء على هذا الخطر وجعلوه علامة فارقة للمنحرفين كما ذكر ذلك الشاطبي ﷺ في الاعتصام[٣]، ومن أقوالهم: «من علامة أهل الأهواء الوقيعة في أهل الأثر»[٤].

---

[١] رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

[٢] عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٣٠٧).

[٣] (١/ ٤٨٢).

[٤] نقله الصابوني في عقيدة السلف (ص ٣٠٤) من قول أبي حاتم الرازي.

يقول ابن عساكر ﷺ: «إِن لُحُوم الْعلمَاء مَسْمُومَة، وَعَادَة الله فِي هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة»[١].

وقد حاول بعض المشغبين ركوب هذا السهل الوعر، واستخدموا في الوصول إليه أساليب المكر، فبدؤوا بإظهار المسائل الخلافية، ثم طلوها بطلاء التناقض، ثم ردوا بعض الأحاديث كحديث الافتراق، ثم تسلقوا جدار الطعن في القرون الأولى بأنها موروثات قديمة رجعية، ثم تسلطت ألسنتهم على الطعن في الشافعي وما قرره من أصول، ثم الهجمة شرسةٌ على البخاري وكتابه الصحيح، رميًا له بالتشكيك والتناقض، وتزامنًا مع الطعن في البخاري يظهرون لنا من اتفق العلماء على انحرافه كالحلاج الذي تعلم السحر، بل ادعى الربوبية وتناسخ الأرواح، ويقول: ليس في جبتي إلا الله.

قال أبو بكر الصولي ﷺ: «قد رأيت الحلاج وجالسته، فرأيت جاهلًا يتعاقل، وغبيًا يتبالغ، وفاجرًا يتزهد، وَكَانَ ظاهره أنه ناسك صوفي، فإذا علم أن أهل بلدة يرون الاعتزال صار معتزليا، أو يرون الإمام صار إماميا... أو رأى أهل السنة صار سنيا... وَكَانَ مع جهله خبيثا»[٢].

ذمَّ فكره علمَاء المالكية والشافعية والحنابلة والمفسرين والمحدثين كالطبري وابن الجوزي وابن كثير وابن خلدون، قال الطبري ﷺ: «عظم افتراؤه على الله ورسوله»[٣].

وهذا الطريقة الماكرة في الربط بهذه الرموز التي كانت على مناهج متطرفة، وتنفيرها من علماء الخير والسنة المعتدلة خطرٌ على البلاد والعباد، وفساد للأخلاق والعقائد.

---

[١] تبيين كذب المفتري (ص ٢٩).

[٢] المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (١٣/ ٢٠٢).

[٣] تاريخ الرسل والملوك (١١/ ٨٤).

لكن لا يغرنكم يا أهل الحق صراخ أهل الباطل، فإنه كلما كبرت تلاشت: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الرعد: ١٧].

وقَدْ أبَى اللهُ إلا نَصْرَ ما خَذَلُوا ... وكَسْرَ ما نَصَرُوا مِنْهُمْ عَلى رَغَمِ

الإيمَانُ بِاليومِ الآخِر

١٢٢ - وَالمَوْتُ حَقٌّ، «مَالِكٌ» قَدْ وُكِّلاَ ... بِقَبْضِ رُوحِ مَنْ أَتَمَّ الأَجَلاَ

١٢٣ - وَكُلُّ مَنْ مَاتَ بِهَدْمٍ أَوْ غَرَقْ ... أَوْ قَتْلٍ اوْ أَكْلِ سِبَاعٍ أَوْ حَرَقْ

١٢٤ - أَوْ نَحْوِهَا مِنْ كُلِّ مُزْهِقٍ حَصَلْ ... مَاتَ بِعُمْرِهِ وَقَدْ حَانَ الأَجَلْ

١٢٥ - وَالرُّوحُ لاَ تَفْنَى وَلاَ عَجْبُ الذَّنَبْ ... وَمِنْهُ يُنْشَأُ جِسْمُهُ الَّذِي ذَهَبْ

١٢٦ - وَالرُّوحُ بَعْدَ المَوْتِ فِي نَعِيمِ ... أَوْ فِي عَذَابٍ مُوجِعٍ أَلِيمِ

١٢٧ - وَالشُّهَدَاءُ يُرْزَقُونَ أَحْيَا ... عِنْدَ إِلَهِهِمْ كَمَا فِي الدُّنْيَا

١٢٨ - أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرِ ... تَجْنِي مِنَ الجَنَّةِ خَيْرَ الثَّمْرِ

١٢٩ - وَتَنْتَهِي إِلَى قَنَادِيلِ ذَهَبْ ... قَدْ عُلِّقَتْ بِالعَرْشِ، فَاطْرَحِ الرِّيَبْ

١٣٠ - وَاعْلَمْ بِأَنَّ فَتْنَةَ القُبُورِ ... حَقٌّ كَمَا فِي الخَبَرِ المَأْثُورِ

١٣١ - وَهِيَ سُؤَالُ الهَالِكِ الدَّفِينِ ... حِينَ يُوَارَى - عَنْ أُصُولِ الدِّينِ

١٣٢ - عَنْ رَبِّهِ، وَالدِّينِ، وَالنَّبِيِّ ... كَمَا أَتَى فِي الخَبَرِ المَرْوِيِّ

١٣٣ - وَالسَّاعَةُ الدَّهْمَاءُ حَقٌّ وَاقِعَهْ ... مِيقَاتُهَا أَظَلَّ، وَهِيَ القَارِعَهْ

١٣٤ - وَهِيَ بِأَنْ يَنْفُخَ إِسْرَافِيلُ ... فِي الصُّورِ إِذْ يَأْمُرُهُ الجَلِيلُ

١٣٥ - ثُمَّ تَرَى السَّمَا تَمُورُ مَوْرًا ... مِثْلَ الرَّحَى حِينَ تَدُورُ دَوْرًا

١٣٦ - وَتُنْثَرُ النُّجُومُ مِنْهُ كَالمَطَرْ ... وَتُجْمَعُ الشَّمْسُ هُنَاكَ وَالقَمَرْ

١٣٧ - كِلاَهُمَا صُورَتُهُ مُغَيَّرَهْ: ... ذَا خَاسِفٌ، وَهَذِهِ مُكَوَّرَهْ

١٣٨ - وَتَنْكَفِي السَّمَاءُ مِثْلَ الفَلَك ... مِنْ بَعْدِ أَنْ يَشُقَّ هَذَا المَلَك

١٣٩- ثُـمَّ تَصِيـرُ وَرْدَةً كَالدُّهْـنِ وَالمُهْـلِ، وَالجِبَالُ مِثْلَ العِهْنِ

١٤٠- وَسُيِّرَتْ مِنْ شِـدَّةِ الزِّلْزَالِ ثُمَّ غَـدَتْ مِـنْ جُمْلَـةِ الرِّمَالِ

١٤١- ثُمَّ البِحَارُ فُجِّـرَت تَفْجِيرًا وَبِالجَحِيمِ سُـجِّرَتْ تَسْـجِيرَا

١٤٢- ثُمَّ إِذَا مَا حَانَ إِخْرَاجُ الوَرَى صَبَّ عَلَى الأَرْضِ تَعَالَى مَطَرَا

١٤٣- أَبْيَـضَ كَالمَنِـيِّ أَرْبَعِينَـا يَوْمًـا، فَمِـنْ ذَلِـكَ يَنْبُتُونَـا

١٤٤- كَالبَقل، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ المَلَكْ لِنَفْخِهِ فِـي الصُّورِ بَعْدَمَا هَلَكْ

١٤٥- ثُمَّ يَصِيحُ صَيْحَةً فِي الصُّورِ يَنْفَـضُّ مِنْهَـا سَـاكِنُو القُبُـورِ

١٤٦- فَتَرْجِعُ الأَرْوَاحُ لِلأَجْسَـادِ فَـذَاكَ يَـوْمُ الحَشْـرِ وَالمَعَـادِ

١٤٧- فِيهِ يُعَادُ الجِسْمُ وَالرُّوحُ مَعَا وَيَنْهَـضُ المَيْتُ سَـرِيعًا فَزِعَا

١٤٨- يَمْشُـونَ حَافِينَ عُرَاةً غُرْلاَ لِمَوْقِـفٍ فَظْـعٍ يُشِـيبُ الطِّفْلاَ

١٤٩- ثُـمَّ بِـهِ يُحَاسَـبُ المُكَلَّفُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَطِيرُ الصُّحُفُ

١٥٠- وَيَسْـتَقِرُّ فِي يَمِيـنِ المُتَّقِي كِتَابُـهُ، وَعَكْسُ ذَلِكَ الشَّـقِي

١٥١- وَالوَزْنُ بِالمِيزَانِ لِلصَّحَائِفِ حَقٌّ، فَدَعْ عَنْكَ هَوَى المُخَالِفِ

١٥٢- وَيُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَا ثُـمَّ تَجُـوزُهُ العِبَـادُ حَسْـبَمَا

١٥٣- جَدُّوا إِلَى الطَّاعَةِ بِالمُسَارَعَهْ فِي دَارِ دُنْيَاهُمْ، فَتِلْكَ المَزْرَعَهْ

١٥٤- وَالجَنَّةُ الحَسْـنَاءُ مَعَ جَهَنَّمْ أُوجِدَتَـا مِـنْ قَبْـلِ خَلْـقِ آدَمْ

١٥٥- ثُمَّ كِلاَ الدَّارَيْنِ لاَ تَفْنَى، كَمَا لاَ يُـدْرِكُ الفَنَـاءُ مَـنْ حَلَّهُمَـا

الشرح

أولا: الشرح الإجمالي:

يقرر الناظم تفصيل الركن الخامس من أركان الإيمان من موت العبد ثم قبره، وكونه في عذاب ونعيم وسؤال الملكين، ثم ما يكون في يوم القيامة من أهوال وفظائع.

ثم نفخة الصور ليخرج الناس من القبور فيكون حشرهم حفاةً عراةً غرلاً، ثم حسابهم وأخذهم صحائف بمايمن الأيدي والشمائل، ثم الميزان الذي توزن فيه صحائف الأعمال، والصراط الذي يضرب على متن جهنم يجوزه الناس على قدر أعمالهم، ولم يذكر هنا الحوض، ثم الإيمان بالجنة والنار.

ثانيا: المسائل المتعلقة بهذه الأبيات:

المسألة الأولى: الموت حق.

الموت حق، وكل نفس ذائقة الموت، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[النساء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[ق: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾[القيامة: ٢٦].

وهنا مسألة دقيقة أن الميت مات بأجله، فالله قدر وقضى أن هذا يموت بسبب مرض، وهذا بسبب قتل، وهذا بسبب هدم، وهذا بسبب حرق.

والمعتزلة تقول مقطوع عليه أجله، أي: أنه لو لم يقتل لعاش إلى أجله فكأنه له أجلان، وهذا باطل، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[يونس: ٤٩].

المسألة الثانية: ما يتعلق بالروح.

جاء إثبات الروح في القرآن والسنة، فهي خلق من خلق الله لا يعلم حقيقتها إلا الله، قال الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهي جسم غير بدن الإنسان، به حياة البدن، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»[١]، وقال ﷺ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرُدَّهَا اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢]، وهذه الروح لا تفنى.

قال السيوطي رحمه الله:

ثَمَانِيَةٌ حكم الْبَقَاء يعمها ... من الْخلق وَالْبَاقُونَ فِي حيّز الْعَدَم

هيَ الْعَرْش والكرسي ونار وجنّة ... وَعجب وأرواح كَذَا اللَّوْح والقلم[٣]

المسألة الثالثة: عذاب القبر ونعيمه.

أنّ الميت في قبره إما في عذاب أو في نعيم، قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقال رسول الله ﷺ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»[٤]، وقال ﷺ: «عذابُ القبْرِ حَقٌّ»[٥].

وهذا متفق عليه بين أهل السنة، وخالف في ذلك المعتزلة واستدلوا بقوله تعالى:

---

[١] رواه مسلم (٩٢٠).

[٢] رواه ابن حبان (٤٦٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٧٣).

[٣] ينظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/ ٩٦).

[٤] رواه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).

[٥] رواه البخاري معلقاً (١٣٧٢)، والنسائي موصولًا (١٣٠٨).

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[يس: ٥٢].

فقالوا هم في القبر نائمون لا يعذبون ولا ينعمون، وهذه الآية لا تدفع تلك الأدلة الكثيرة الصحيحة. والرد عليهم:

قال عبد الله بن عباس وقتادة: «إنّهم يقولون هذا؛ لأنّ الله يرفع العذاب عنهم بين النفختين» [١].

وورد في حديث: «ثم ينامون قبيل الساعة»، قال ابن رجب رحمه الله: «وهذا إسناده ضعيف» [٢].

والشهداء أحياء يرزقون كما جاء في نص القرآن: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران: ١٦٩]، وقال رسول الله ﷺ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ»[٣].

المسألة الرابعة: فتنة القبور.

فتنة القبر هي سؤال الملكين العبد عما كان يعتقد في الدنيا عن ربه ودينه ونبيه، وهذه أصول الدين، قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ»[٤]، وينظر حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه أن رسول الله ﷺ قال في العبد المؤمن: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ،

---

[١] ينظر: تفسير السمعاني (٤/ ٣٨٢)، وتفسير البغوي (٧/ ٢١).

[٢] تفسير ابن رجب (٢/ ٣٧٥).

[٣] رواه مسلم (١٨٨٧).

[٤] رواه البخاري (٩٢٢)، ومسلم (٩٠٥).

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»، وأما الكافر: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» [١].

المسألة الخامسة: قيام الساعة.

تقوم الساعة بعد نفخة إسرافيل للصور النفخة الأولى، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾[الحاقة: ١٣ – ١٦]، وقال: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾[الطور: ٩ – ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾[الانفطار: ١ – ٤].

وقال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾[التكوير: ١ – ٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾[القيامة: ٧ – ٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾[الرحمن: ٣٧].

---

[١] رواه أحمد في مسنده (١٨٥٣٤).

المسألة السادسة: البعث

وهو خروج الناس من القبور بعد النفخة الثانية لإسرافيل، قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ... وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»[١].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى يعني - نفخة الصعق - أمطر عليهم أربعين عامًا كمني الرجال من ماء تحت العرش فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يلقي عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجده النائم إذا استيقظ من نومه»[٢].

وهنا مسألة خلافية: كم عدد النفخات في الصور على قولين:

الأول: نفختان وهو الأرجح.

الثاني: ثلاث نفخات.

وإذا نفخ فقاموا من قبورهم فيكون أول من ينشق عنه القبر محمّدٌ ﷺ فيخرجون من قبورهم سراعا إلى أرض المحشر، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[يس: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[ق: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[المعارج: ٤٣].

---

[١] رواه مسلم (٢٩٤٠).

[٢] ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٤/ ٢٤٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٤١٤).

والرد على منكري البعث بثلاثة أدلة:

الأول: أنّ القادر على خلق الإنسان من عدم قادر على إعادته بعد موته.

الثاني: أنّ القادر على خلق ما هو أعظم قادر على خلق الإنسان.

الثالث: الاستدلال على إحياء الموتى بإحياء النبات وجاءت هذه في سورة يس، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: ٧٧ – ٨١].

المسألة السابعة: موقف الحشر.

يأتي الناس أرض المحشر حفاة عراة غرلاً بهما قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[القمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[القلم: ٤٣]، وهذه الصفة العامة للناس في الحشر، ومن الناس من يحشر على وجهه، ومن الناس من يحشر كأمثال الذر، ومنهم من يحشر وليس في وجهه مزعة لحم، وأهل الإيمان يحشرون في غاية الإكرام، والمجرمون يحشرون عطشى في غاية الامتهان.

المسألة الثامنة: الحساب.

وهو توقيف الله العباد على أعمالهم واطلاعهم عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية: ٢٥ – ٢٦].

عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[الانشقاق: ٧-٨]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ»[١].

المسألة التاسعة: تطاير الصحف.

وهذا مما دل عليه القرآن والإجماع، ولم يخالف إلا الجهمية.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾[الحاقة: ١٩ – ٣٢]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾[الانشقاق: ٧ – ١٥].

المسألة العاشرة: الميزان.

وهو ميزانٌ حقيقي له كفتان، يوضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وأنكرته المعتزلة.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾[الأعراف: ٨-٩].

---

[١] رواه البخاري (٦٥٣٧).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»[١]، وقال ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[٢]، وقال ﷺ: «يوضعُ الميزانُ يومَ القيامةِ، فلو وُزِنَ فيه السموات والأرض لوُسِعَتْ، فتقول الملائكةُ: يا رب! لمن يزنُ هذا؟ فيقولُ الله تعالى: لمن شئتُ من خلقي، فيقولون: سبحانَكَ! ما عبدناك حَقَّ عبادتِكَ»[٣].

المسألة الحادية عشر: الصراط.

وهو جسر منسوب على متن جهنم يُعبُر عليه للوصول إلى الجنة، وأنكرته المعتزلة، قال عنه رسول الله ﷺ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ»[٤]، وقال ﷺ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا»[٥].

المسألة الثانية عشر: الجنة والنار.

فالجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وخالف في ذلك المعتزلة.

---

[١] رواه مسلم (٢٢٣).

[٢] رواه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني.

[٣] رواه الحاكم في المستدرك (٨٧٣٩)، وينظر: السلسلة الصحيحة رقم (٩٤١).

[٤] رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢).

[٥] رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]، وفي النار قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ»[١].

وهما باقيتان لا تفنيان، قال تعالى في الجنة: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[المائدة: ١١٩]، وقال تعالى في النار: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[الجن: ٢٣].

وقال رسول الله: ﷺ: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، ويَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ»[٢].

---

[١] رواه أحمد (١٢٠٠٨).

[٢] رواه البخاري (٦٥٤٤).

أَقْسَامُ الذُّنُوب

١٥٦- وَلَـمْ يُخَلَّدْ مُؤْمِـنٌ فِي النَّارِ ... بِذَنْبِـهِ، بَـلْ جُمْلَـةُ الكُفَّـارِ

١٥٧- وَالشِّـرْكُ لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ حَشَا ... وَغَيْـرُهُ يَغْفِـرُهُ لِمَـنْ يَشَـا

١٥٨- وَالسَّـيِّئَاتُ بَعْضُهَا صَغَائِرُ ... كَمَـا أَتَـى، وَبَعْضُهَـا كَبَائِـرُ

١٥٩- فَالعَمَلُ الصَّالِـحُ لِلصَّغَائِرِ ... مُكَفِّـرٌ كَالتَّـرْكِ لِلكَبَائِـرِ

١٦٠- فَالوُضُوء،الجُمْعَةُ،وَالصَّلاَةُ ... وَالصَّـوْمُ، وَالحَـجُّ: مُكَفِّرَاتُ

١٦١- وَإِنَّمَـا كَفَّـارَةُ الكَبَائِـرِ ... بِتَوْبَـةِ العَبْـدِ وَعَفْـوِ الغَافِـرِ

١٦٢- وَيُؤْمَـرُ المُذْنِـبُ بِالمَتَابِ ... مِنْ ذَنْبِـهِ فَوْرًا عَلَـى الإِيجَابِ

١٦٣- وَالتَّوْبَةُ: الإِقْلاَعُ مِنْهُ وَالنَّدَمْ ... وَرَدُّهُ مَظْلِمَـةَ الَّـذِي ظَلَـمْ

الشرح

أولا: الشرح الإجمالي للأبيات:

بعد أن بيّن خلود أهل الإيمان في الجنة، وخلود أهل الكفر في النار بيّن عقيدة أهل السنة في الذنوب ومرتكبيها، وأن أهل السنة لا يخلدون مسلمًا وقع في دون الشرك والكفر، وهذا يفارق عقيدة الخوارج والمعتزلة.

ثم بين الناظم انقسام الذنوب إلى ثلاثة أقسام وهي: شرك، وكبائر، وصغائر.

فالشرك لا يغفره الله لمن مات عليه، والكبائر تحت المشيئة، والصغائر تمحى باجتناب الكبائر، و تطرق إلى شروط التوبة وهي: الفور والندم والعزم على عدم الرجوع.

ثانيا: المسائل التفصيلية في هذه الأبيات:

المسألة الأولى: أن المؤمن العاصي لا يخلد في النار.

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الخلود في النار للكافر والمشرك، أما المؤمن والمسلم العاصي فلا يخلد فيها.

فالنار كما قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤]، فالذي يخلد فيها هو الكافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٦].

والجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]، فالذي يخلد فيها هو المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧ – ٨].

قال رسول ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ»[١].

فهذا في الكافر والمؤمن، وأما المؤمن العاصي ففارق أهل البدع النصوص، فحكمت الخوارج والمعتزلة عليه بأنه مخلد في النار، وذهب المرجئة إلى أنه لا يدخل النار ابتداءً.

والحق الذي عليه أهل السنة أن المسلم العاصي لا يخلد في النار بسبب ذنوبه لكن متوعد بالنار، فقد يدخلها وقد لا يدخلها فهو تحت المشيئة.

---

[١] رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

والأدلة في ذلك على أنواع:

النوع الأول: نص الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

النوع الثاني: النصوص التي دلت على أن أصحاب الكبائر يدخلون الجنة، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»[١].

النوع الثالث: الأدلة التي على أن صاحب الكبيرة لا يسلب الإيمان كله، ولكن ينقص إيمانه، قال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[٢].

النوع الرابع: الأدلة على نيل الشفاعة أصحاب الكبائر، قال رسول الله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[٣].

المسألة الثانية: الذنوب تنقسم إلى ثلاثة أقسامٍ في الجملة:

الذنوب على أقسام:

الأول: الشرك والكفر الأكبر، وهو الذنب الذي ينافي أصل الإسلام ويترتب عليه الكفر والخلود في النار لمن مات عليه، ولا يكفَّر إلا بالتوبة.

---

[١] رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٦٤).

[٢] رواه الترمذي (٢٥٩٨)، وصححه الألباني.

[٣] رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وصححه الألباني.

الثاني: كبائر الذنوب وهي كل ذنبٍ قرن في النص بوعيدٍ أو حدٍ أو لعن، وهي تحت المشيئة، لا تخلد في النار، ولا يكفر صاحبها إلا إذا استحلها استحلالاً عقديًا، ولا تكفَّر إلا بأمرين:

١- التوبة.

٢-أعمالٌ نصت على تكفير الكبائر.

الثالث: الصغائر وهي ما نهى عنه الشرع، ولم يقترن بما تقترن به الكبائر.

وهي تكفر بالتوبة واجتناب الكبائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء: ٣١].

وكذلك تكفَّر بالأعمال الصالحة، قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**»[١].

المسألة الثالثة: وجوب التوبة وشروطها.

التوبة من العبادات العظيمة وهي الرجوع إلى الله تعالى، رجوع النادم عن الذنوب والتقصير، وهي مهمةٌ في طريق العبد في بدايته ونهايته، وفي جميع مقامات عباداته وأحواله وأعماله، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[التحريم: ٨].

---

[١] رواه مسلم (٢٢٨).

وهذه التوبة حتى تكون صحيحة لا بد من توفر شروط فيها:

١- الإخلاص.

٢- الندم.

٣- الإقلاع فوراً عن الذنب.

٤- العزم على عدم العودة.

٥-أن تكون قبل الموت.

رزق الله وَالتَّوكُل عليه وَالتَّمَسُّك بِسُنَّة رسوله

١٦٤- وَاللهُ - جَـلَّ شَـأْنُهُ - تَكَفَّـلاَ ... لِخَلْقِـهِ بِرِزْقِهِـمْ تَفَضُّـلاَ

١٦٥- فَيَرْزُقُ اللهُ الحَـلاَلَ المُحْكَمَا ... وَيَـرْزُقُ المَكْـرُوهَ وَالمُحَرَّمَـا

١٦٦- وَلاَ يُنَافِـي الأَخْذَ بِالأَسْـبَابِ ... تَـوَكُّلُ العَبْدِ؛ عَلَـى الصَّوَابِ

١٦٧- فَالمُصْطَفَى المُخْتَارُ خَيْرُ مُتَّكِلْ ... قَـالَ لِمَنْ يَسْـأَلُ: قَيِّـدْ وَاتَّكِلْ

١٦٨- وَكُلُّ مَـا جَـاءَ بِـهِ الرَّسُـولُ ... حَـقٌّ، لَـهُ يَلْزَمُنَـا القَبُـولُ

١٦٩- وَهْوَ عَلَى قِسْمَينِ: مَا قَدْ عُلِمَا ... مَجِيئُـهُ بِـهِ ضَـرُورَةً، وَمَـا

١٧٠- سِـوَاهُ، فَـالأَوَّلُ مَنْ لَـهُ جَحَدْ ... فَإِنَّـهُ يُقْتَـلُ كُفْـرًا دُونَ حَـدّ

١٧١- وَقَدْ تَنَاهَى القَوْلُ فِي الأَسْمَاءِ ... وَفِـي صِفَاتِـهِ عَلَـى اسْـتِيفَاءِ

الشرح

أولًا: الشرح الإجمالي للأبيات:

ختم الناظم مبحث الأسماء والصفات ومسائل أركان الإيمان بهذه الخاتمة التي اشتملت على أن الله هو الرَّازق، وقد تكفل برزق الخلق أجمعين، وأن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل؛ لأن النبي ﷺ أمر بالتوكل والأخذ بالأسباب، ثم انتقل إلى أنّ ما جاء عن رسول الله ﷺ، أي: من الدين فواجبٌ قبوله، وهو على قسمين: ما علم بالضرورة فجحده كفرٌ، وما لم يعلم بالضرورة وجهده ليس بكفر.

ثانيًا: المسائل التفصيلية للأبيات:

المسألة الأولى: رزق الله لخلقه.

تكفل الله تعالى برزق جميع خلقه، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣]، وهذا الرزق موزع على الخلق بحكمة، فيزيد هذا ويمنع هذا: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ [النحل: ٧١].

وهذا البسط والقبض لحكمةٍ عظيمة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[الشورى: ٢٧].

والرزق نوعان:

الأول: رزقٌ دنيوي عامٌ يشمل المسلم والكافر والإنسان والحيوان والنبات وجميع المخلوقات، ويشمل المال والصحة وغير ذلك.

الثاني: رزقٌ ديني، وهو خاصٌ للمسلمين، وهو الإيمان والعلم والعمل الصالح.

وينقسم الرزق الدنيوي إلى قسمين:

١- حلالٌ يجوز أخذه.

٢- حرامٌ يمتنع أخذه.

المسألة الثانية: التوكل والأخذ بالأسباب.

يتعلق بمسألة الرزق مسألة التوكل والأخذ بالأسباب، قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[١]؛

---

[١] رواه الترمذي (٢٣٤٤)، والنسائي (١١٨٠٥)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وصححه الألباني.

إذ ليس الأخذ بالأسباب منافيًا للتوكل، بل هو من التوكل؛ لأن التوكل هو الثقة بالله والاعتماد عليه مع فعل الأسباب المأذون فيها.

فالنبي ﷺ خير متوكل، وقد أخذ بالأسباب، ففي الهجرة اتخذ هاديًا، واحتمى في الغار، وفي الحرب حمل سيفًا ودرعًا، وتاجر، ولما سأله الصحابي يا رسول الله: أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال رسول الله ﷺ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[١].

والناس بالنسبة للأخذ بالأسباب على ثلاثة:

الأول: من يلغي الأسباب، وهذا منافٍ للعقل والشرع.

الثاني: من يتعلق بالأسباب، وهذا منافٍ للتوكل.

الثالث: من يفعل الأسباب ويتوكل ويعتمد على الله، وهذا موافقٌ للعقل والشرع.

المسألة الثالثة: وجوب قبول ما جاء به الرسول.

دين الإسلام كله موقوفٌ على قبول ما جاء به الرسول محمد ﷺ، فهو الذي جاءنا به القرآن وبالسنة، ولهذا أمرنا الله بطاعته وامتثال أمره، وحذرنا من رد قوله ومعارضته.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[المائدة: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: «من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر»[٢].

---

[١] رواه الترمذي (٢٥١٧)، وحسنه الألباني.

[٢] ينظر: الإحكام لابن حزم الظاهري (١/ ٩٧).

وقال ابن بطة ﷺ: « فلو أن رجلًا آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئًا واحدًا، كان برد ذلك الشيء كافرًا عند جميع العلماء» [١].

وقد قسَّم الناظم ما جاء به الرسول إلى قسمين:

القسم الأول: ما علم من الدين بالضرورة كالصلاة والصيام والحج، فهذا جحده وإنكاره كفر، قال القرافي ﷺ: «وكل من جحد ما علم من الدين بالضرورة فهو كافر»[٢].

القسم الثاني: ما لم يعلم من الدين بالضرورة، وهذا لا يكفر صاحبه إذا جحده.

ضابط المعلوم من الدين بالضرورة أنه الواجبات الظاهرة المتواترة، قال ابن تيمية ﷺ: «ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة: كالصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق... فهو كافر»[٣].

وقال ابن قدامة ﷺ: «ومن اعتقد حلَّ شيء أجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه، كلحم الخنزير، والزنى، وأشباه هذا، مما لا خلاف فيه، كفر»[٤].

ويقول النووي ﷺ: «وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئًا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرًا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنى والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام إلا أن يكون رجلا حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده فإنه إذا أنكر شيئا منها جهلاً به لم يكفر»[٥].

---

[١] الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (ص ٢٣٢).

[٢] الذخيرة (٢/ ٤٨٢).

[٣] مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٥).

[٤] المغني (١٠/ ٨٣).

[٥] شرح صحيح مسلم (١/ ٢٠٥).

فَصْلٌ فِي وَاجِبِ التَّوْحِيدِ

١٧٢- وَحُـقَّ أَنْ نَشْـرَعَ فِـي المَقَالِ ... فِي وَاجِبِ التَّوْحِيـدِ بِالأَفْعَالِ

١٧٣- وَذَلِـكَ التَّوْحِيـدُ فِـي العِبَادَهْ ... وَهْـوَ بِمَعْنَـى كِلْمَـةِ الشَّـهَادَهْ

١٧٤- فَهْـيَ لَـهُ فِـي غَايَـةِ المَحَبَّـهْ ... مِـنْ دَعْـوَةٍ وَرَغْبَـةٍ وَرَهْبَـهْ

١٧٥- وَالذَّبْـحِ وَالمَنْـذُورِ وَالتَّوَكُّلِ ... وَنَحْوِهِ مِـنْ كُلِّ تَعْظِيـمٍ جَلِي

١٧٦- فَـكُلُّ مَـا ذَكَرْتُـهُ مَعْنَـاهُ ... تَفْسِـيرُ «لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ»

١٧٧- لِأَنَّ مَعْنَاهَا -كَمَا لاَ يَشْـتَبِهْ: ... أَنْ يُعْبَـدَ اللهُ وَلاَ يُشْـرَكَ بِـهْ

١٧٨- وَلَيْسَ مَعْنَاهَا - كَمَا قَدْ زُعِمَا - ... مُجَـرَّدُ النُّطْـقِ بِلَفْظِهَـا فَمَـا

١٧٩- إِذْ لَـوْ أُرِيدَ اللَّفْظُ قَطُّ لَسَـهُلْ ... عَلَـى قُرَيْـشٍ قَوْلُهَا وَمَـا ثَقُلْ

١٨٠- حِيـنَ دَعَاهُمْ إِلَيْـهِ المُصْطَفَى ... مَعْ عِلْمِهِمْ بِالسَّـبْقِ مِنْهُ وَالوَفَا

١٨١- لَكِنَّهُـمْ قَـدْ عَلِمُـوا الإِرَادَهْ ... بِلَفْظِهَا: الإِخْلاَصَ فِي العِبَادَهْ

١٨٢- فَـأَيُّ خَيْرٍ فِيـكَ يَا مَـنْ يَزْعُمُ ... بِأَنَّـهُ مُوَحِّـدٌ وَمُسْـلِمُ

١٨٣- وَمِنْـهُ كُفَّـارُ قُرَيْـشٍ أَعْلَـمُ ... بِكِلْمَةِ الإِخْلاَصِ حِينَ أُعْلِمُوا؟!

١٨٤- وَعِنْـدَهُ: لاَ رَبَّ إِلاَّ اللهُ ... تَفْسِـيرُ «لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ»!

١٨٥- قُلْتُ: عَلَـى تَأْوِيلِ هَـذَا يَلْزَمُ ... أَنَّ أَبَـا جَهْـلٍ اللَّعِينَ مُسْـلِمُ!

١٨٦- وَمَـنْ يُضَاهِيـهِ مِـنَ الكُفَّـارِ ... لِنُطْقِهِـمْ بِذَلِـكَ الإِقْـرَارِ

١٨٧- وَالقَـوْمُ كَانُوا غَيْـرَ جَاحِدِينَا ... أَنَّ السَّـمَوَاتِ مَـعَ الأَرْضِينَـا

١٨٨- وَكُلُّ مَا بَيْنَهُمَا وَفِيهِمَا ... للهِ مِلْكٌ دُونَ شِرْكٍ، فَاعْلَمَا

١٨٩- كَلاَّ، وَلكِنَّ كُفْرُهُمْ قَدْ صَرَّحَا ... بِهِ الكِتَابُ، وَالنَّبِيُّ أَوْضَحَا

١٩٠- بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ عَظِيمَ كُفْرِهِمْ ... بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَأَسْرِهِمْ

الشرح

أولا: المعنى الإجمالي للأبيات:

شرع الناظم في بيان توحيد العبادة، القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو أهم قسم وأعظمه، وبين أنه يسمى بتوحيد الأفعال، وأنه بمعنى كلمة شهادة «لا إله إلا الله».

وذكر جملة من العبادات القلبية والقولية والفعلية التي يجب أن تصرف لله وحده كالحب والدعاء والرغبة والرهبة والذبح والنذر والتوكل ونحوها من كل عبادة فيها تعظيم واضحٌ جليٌّ لا يكون إلا لله.

وبين ﷺ أن كل ما ذكره من العبادات هو داخل في معنى تفسير «لا إله إلا الله»، وذلك لأنّ معنى كلمة التوحيد أن يعبد الله ولا يشرك به، فكل نوعٍ من أنواع العبادة داخل فيها.

ثم عرّج ﷺ إلى الرد على المزاعم الباطلة والأقوال المخالفة في تفسير معنى التوحيد وكلمة الشهادة.

فالزعم الأول: أن كلمة التوحيد المراد منها مجرد النطق دون إرادة المعنى.

فأجاب على ذلك بأنه لو كان المراد مجرد النطق لسهل على كفار قريش النطق بها حين دعاهم النبي ﷺ؛ لكن لما علموا المراد منها، وأنه التزام معناها ومضمونها، وهو

الإخلاص في العبادة أبَوْا، فلا خير في رجلٍ كفارُ قريش أعلم منه بـ «لا إله إلا الله».

الزعم الثاني: تفسير «لا إله إلا الله»بأنه لا رب إلا الله، وهذا التفسير يلزم عليه لازمٌ باطلٌ، وهو أن أبا جهلٍ مسلمٌ، وكذلك من يضاهيه من الكفار؛ لأنهم نطقوا بأن الله هو الخالق، وأنه الرب وأقروا بذلك.

فهل القوم كانوا جاحدين أن السماوات مع الأرضين وما بينهما لله ملك دون شريك، كلا ولكن كفرهم الصريح في القرآن والسنة جحدهم لتوحيد العبادة، ولهذا كفرهم رسول الله ﷺ وقاتلهم وأسرهم، فلوكان إقرارهم بتوحيد الربوبية كافٍ لما قاتلهم.

ثانيا: المسائل التفصيلية المتعلقة بهذه الأبيات:

المسألة الأولى: تعريف توحيد العبادة.

توحيد العبادة يسمى بتوحيد الألوهية، وتوحيد العبد بأفعاله، وتوحيد الطلب والإرادة، والتوحيد العملي، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

والعبادة تطلق على شيئين:

الأول: التعبد بمعنى التذلل والخضوع لله بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

الثاني: المتعبد به، وهو كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فالعبادات على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: عبادات قلبية، كالخوف والتوكل والحب.

النوع الثاني: عبادات قولية، كالدعاء والذكر.

النوع الثالث: عبادات فعلية، كالصلاة.

وقد تكون بعض العبادات مشتملة على أنواع العبادات كالصلاة، فهي أعمال قلبية وأقوال وأفعال.

سؤال مهم: كيف يُعرف أن هذا العمل عبادة؟

يعرف ذلك بعدة أمور:

١- أمر الله أو رسوله به.

٢- التنصيص على أنه عبادة.

٣- محبة الله له ولفاعله.

٤- ثناء الله على العمل أو العامل.

٥- رضى الله عن العمل أو عامله.

٦- ترتب الأجر عليه.

تنبيه: قد أشار الناظم إلى مسألة مهمة، وهي أن توحيد العبادة هو بمعنى الشهادة، أي: شهادة أن لا إله إلا الله.

والدليل على ذلك:

١- عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ**»، وفي رواية: «**عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ**»، وفي رواية: «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[١].

٢- عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ**

---

[١] صحيح مسلم (١٦).

عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ»[١]، وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى»[٢]، وهذا تنبيهٌ مهم جدًّا، وسيتضح ذلك بالانحرافات التي حدثت في فهم معنى التوحيد كما سيأتي في آخر هذه الأبيات.

المسألة الثانية: أهمية التوحيد.

هذا النوع من التوحيد أهم أنواع التوحيد، فتلك مهمة وهذا أكثر أهمية، وله من الآثار على الفرد والمجتمع ما تزيده أهمية.

ويظهر ذلك فيما يلي:

١- أن دعوة الرسل جميعًا تركزت على هذا التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

٢- أن جميع الكتب أنزلت لتقرير التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

٣- أن الغالب في النصوص البداءة به، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام: ١٥١]، وقال رسول الله ﷺ للذي قال له: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[٣].

٤- أن عصم المال والدم به قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرَّمَ اللهُ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[٤].

---

[١] رواه البخاري (١٤٥٨).

[٢] رواه البخاري (٧٣٧٢).

[٣] رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

[٤] رواه مسلم (٢٣).

قال مالك رحمه الله: «محالٌ أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فما عُصم به الدم والمال، حقيقة التوحيد»[١].

٥- أن التوحيد هو أصل النجاة من النار وأصل دخول الجنة، قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ»[٢]، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»[٣].

٦- أهل التوحيد أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»[٤].

٧- أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب كما قال رسول الله ﷺ: «سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»[٥].

٨- من أتى بالتوحيد كان له الأمن والهداية، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢].

٩- من حقق التوحيد تحققت له السعادة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[النحل: ٩٧].

---

[١] سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٢٦).

[٢] رواه البخاري (٤٤).

[٣] رواه البخاري (٣٤٣٥).

[٤] رواه البخاري (٩٩).

[٥] رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

فعلم التوحيد مهم للغاية، وجميع العلوم بالنسبة له كالفروع؛ لأنه أشرف العبادات وأفضل الطاعات، وشرط في صحة كل عبادة وطاعة، وشرط لقبول الأعمال، فمن لم يوحد المعبود فكل عمله مردود[١].

يقول الطرطوشي ﷺ: «اعلموا أرشدكم الله أنّ «لا إله لا الله» هي العروة الوثقى، ومركب النجاة، وسفينة نوح، من عدل عنها هلك، ومن ركبها خلص ونجا، وهي قطب الإسلام، وقاعدة الأديان، وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه بها»[٢].

المسألة الثالثة: أنواع العبادات التي ذكرها الناظم.

ذكر الناظم جملة من العبادات وسوف أقدم منها القلبية ثم القولية ثم الفعلية.

أولا: المحبة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[التوبة: ٢٤].

بدأ بها لأنها أصل العبادات، وقطب رحاها وروحها، وهي من العبادات القلبية، فالمراد هنا بالمحبة محبة العبادة التي يكون معها التعظيم لله والرغبة والرهبة.

والمحبة على أقسام باعتبارات:

القسم الأول: بالاعتبار العام، وهي على نوعين:

النوع الأول: محبة عبادة، وهي لا تصرف لغير الله، وهي محبه مع تذلل وتعظيم فصرفها لغير الله شرك،، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ

---

[١] ينظر: الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٥٧).

[٢] الدعاء المأثور (ص ١١٤-١١٥).

كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ذكر الله أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله!؟ أم كيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله!؟

النوع الثاني: محبة ليست عبادة في ذاتها، وهي المحبة الطبيعية:

١- محبه إشفاق ورحمة.

٢- محبة إجلال وتقدير.

٣- محبة مباحة كمحبة الطعام والشراب والزوجة.

وهذه المحبة المباحة الطبيعية متى زادت بحيث يصبح القلب متعلقًا بها رضا وسخطا أصبحت المحبة شركًا أصغر، قال رسول الله ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**»[١].

القسم الثاني: باعتبار متعلقها بالله، وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: محبة الله وهي كما سبق الأصل ولا يحب لذاته إلا هو.

النوع الثاني: محبة في الله وهي أن يحب في الله ويبغض في الله، قال رسول الله ﷺ: «**وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»[٢].

---

[١] رواه البخاري (٢٨٨٧).

[٢] رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

النوع الثالث: محبة مع الله، وهي محبة المشركين كما في سورة البقرة.

النوع الثاني والثالث: الرغبة والرهبة.

فالرغبة محبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة الخوف المثمر للهروب من المخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]، فالرغبة والرهبة فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، مثاله: أن يرغب من مخلوق أن يرزقه الولد أو يشفي مريضه.

وهنا أشير إلى عبادتين: الخوف لأنه من الرهبة، والرجاء لأنه من الرغبة.

فالخوف على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خوف العبادة، وهو خوف التذلل والتعظيم، وهو لا يكون إلا لله، فمن خاف غير الله خوفَ تعظيم وعبادة وتذلل فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥].

وخوف العبادة له متعلقان:

الأول: في الدنيا، بأن يخاف أن يصيبه بضر لا يقدر عليه إلا الله.

الثاني: متعلق أخروي، بأن يخاف أن يضره في الآخرة.

القسم الثاني: خوف محرم، وهو أن يخاف مخلوقًا في امتثال محرم وترك واجب أو بالعكس.

القسم الثالث: خوف طبيعي كخوف النار والعدو.

العبادة الثانية: الرجاء لأنه من الرغبة.

والرجاء هو الطمع في أمر قريب المنال محبوب.

والرجاء على نوعين:

رجاءٌ طبيعي: وهو الطمع في شيء مما يقدر عليه المخلوق.

رجاء عبادة: وهو الطمع في شيء لا يقدر عليه إلا الله، فصرف هذا لغير الله شركٌ، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠].

النوع الرابع: الدعاء.

وهو في الأصل الطلب والسؤال، وهو على قسمين:

القسم الأول: ما لا يقع عبادة، وهو طلب الحضور، فهذا جائزٌ كما في الحديث: «**وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ**»، ومنه طلب وسؤال الحاجة، فهذا في الأصل مكروهٌ، كأن يسأل الناس مالاً.

القسم الثاني: ما يقع عبادة، وهذا لا يكون إلا لله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المؤمنون: ١١٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»[١].

ودعاء العبادة على نوعين:

النوع الأول: دعاء عبادة.

وهي الأعمال التي يتقرب بها إلى الله، وهي دعاء بالحال والأفعال كالصلاة والصيام وغير ذلك، فمن عبد غير الله فقد أشرك.

---

[١] رواه مسلم (٢١٦٢).

النوع الثاني: دعاء المسألة.

وهو سؤال الله وطلبه، فمن طلب من غير الله مالا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك.

وضابط السؤال الشركي أن يسأل:

أ- مالا يقدر عليه إلا الله.

ب- أن يدعو من لا يسمع وليس بحاضر.

ت- أن يدعو ميتًا.

تنبيه: كل دعاء عبادة مستلزمٌ لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، والدعاء في النصوص يشمل النوعين، وقد يراد به هذا أو هذا.

يدخل في الدعاء كل طلب سواء كانت استعانة أو استغاثة أو استعاذة أو شفاعة.

دليل الاستعانة: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[١]، والاستعانة طلب العون.

دليل الاستغاثة: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال: ٩]، وهي طلب الإنقاذ من الشدة.

دليل الاستعاذة: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق: ١]، وهي طلب الحماية.

دليل الشفاعة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾[يونس: ١٨].

---

[١] رواه الترمذي (٣٢٤٧)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وصححه الألباني.

وهذه القضية من أكبر القضايا التي أبطلها القرآن، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾[الأعراف: ١٩١ – ١٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[فاطر: ١٣ - ١٤]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[سبأ: ٢٢ – ٢٣].

خامسًا من العبادات: الذبح.

لغة: إزهاق روح بإراقة دم.

اصطلاحًا: إزهاق روح بإراقة دم على وجه مخصوص تعبدًا لله تعالى.

ويقع الذبح على وجهين:

الوجه الأول: ذبحٌ لغير الله لا تعبدًا للمذبوح له بل فرحًا وكرمًا، لا يقصد به التعظيم.

وهذا أنواعٌ، منه:

- ما هو مباح أن يكون للأكل.
- مستحب أن يكون كرمًا.
- واجبٌ كالهدي للمتمتع أو النذر.

الوجه الثاني: ذبح عبادة يُقصدُ به تعظيم المذبوح له والتذلل له، وهذا لا يكون إلا لله وصرفه لغير الله شركٌ، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[الكوثر: ٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»[١].

---

[١] رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

وهذا له حالات:

الأولى: أن يذبح باسم الله لله، فهذا هو التوحيد.

الثانية: أن يذبح باسم الله لغير الله، فهذا شركٌ في العبادة.

الثالثة: أن يذبح باسم غير الله لغير الله، فهذا شركٌ في العبادة والربوبية.

الرابعة: أن يذبح بغير اسم الله ويقصد الله بها، فهذا شركٌ في الربوبية.

سادسًا من العبادات: النذر.

هو إلزام الإنسان نفسه طاعةً لله لم يلزمها الله بها بصيغه لله عليَّ أن أفعل كذا، والنذر عبادة لا تكون إلا لله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾[البقرة: ٢٧٠]، والوفاء بالنذر عبادة، قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان: ٧].

فالنذر لغير الله شركٌ قوليٌّ، والوفاء به لغير الله شرك عمليٌّ، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**»[١].

والنذر لغير الله لا ينعقد إطلاقًا، ولا تجب فيه كفارة بل يجب فيه التوبة.

سابعًا من العبادات: التوكل.

التوكل من العبادات القلبية العظيمة.

والتوكل هو الاعتماد على ربِّ الأسباب مع فعل ما أذن فيه من الأسباب، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

---

[١] رواه مسلم (١٩٧٨).

والتوكل الذي هو اعتماد القلب لا يكون إلا لله، فالتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شركٌ أكبر.

والاعتماد على الأسباب الظاهرة فيما قدره الله عليه شرك أصغر.

فالواجب الاعتماد على الله وحده مع فعل السبب دون اعتماد القلب عليه، وهذا السبب لا بد أن يكون شرعيًا أو قدريًا.

فمعنى كونه شرعيًا، أي عرف كونه سببًا عن طريق الشرعي كماء زمزم والعسل، وقدريًا، أي: عرف كونه سببًا بجعل الله فيه سببًا كالتداوي، ولا بد هنا من أمرين:

- كونه ظاهر التأثير.
- أن يكون أثره مباشرًا.

مثاله من فقدت فيه الشروط تعليق الخيوط لدفع ضرٍّ أو رفعه، فلم يجعله الله سببًا وليس له تأثير ظاهر ولا مباشر.

المسألة الرابعة: معنى كلمة التوحيد وبعض الأخطاء في فهم معناها.

معنى «لا إله إلا الله»: لا معبود حقٌّ إلا الله، والذي يبين ذلك:

أولا: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحج: ٦٢]، فدلت الآية على أن هناك معبودات تعبد بالباطل، وأن الله هو المعبود بحق.

ثانيًا: ما سبق في الأحاديث من تفسير كلمة الشهادة بالتوحيد.

ثالثا: ما جاء في السنة من بيان أن الله هو المعبود بحق كما قال رسول الله ﷺ: «**لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ**»[١].

---

[١] رواه البخاري (٦٦٩٦).

وسيتضح ذلك مع بيان غلط وخطأ بعض الناس في معنى كلمة التوحيد:

الصنف الأول: من زعم أن المراد بها النطق دون المعنى، والرد عليهم من أوجه:

الوجه الأول: أنه لو كان المراد فقط اللفظ لسهل على كفار قريش النطق بها لكنهم علموا المراد منها، وهو حقيقة معناها، قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥].

ولما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية، قال رسول الله ﷺ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله[١]، فلو كان المراد منها مجرد الكلمة لسهل عليه في هذا الموقف قولها.

الوجه الثاني: أن الأدلة أتت مقيدة لكلمة التوحيد بقيود منها: اليقين والإخلاص والصدق، قال رسول الله ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[٢]، وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»[٣]، وقال ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لاَ يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٤].

---

[١] تقدم تخريجه.

[٢] رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

[٣] تقدم تخريجه.

[٤] تقدم تخريجه.

الصنف الثاني: من زعم أنّ معنى «لا إله إلا الله»: لا ربَّ إلا الله، وهذا التفسير باطلٌ من وجوه:

الأول: أنّه مبنيٌّ على عدم تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، وهذا مخالفٌ للنصوص كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

الثاني: أنّ دعوة الأنبياء لم تكن على هذا بل لتوحيد الألوهية: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[الأعراف].

الثالث: أنّ الخصومة وقعت في توحيد العبادة لا الربوبية، ولهذا كان المشركون يقرّون بالربوبية، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[العنكبوت: ٦١].

ولهذا تجد نصوص القرآن تُقرّر توحيد الربوبية حتى تلزمهم بتوحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ٢١].

الرابع: أنّه على هذا التفسير تلزم لوازم باطلة، منها: أنّ أبا جهل كان مسلمًا، وكذلك إبليس لأنّه اعترف بالربوبية، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[الأعراف: ١٤].

الخامس: أنه لو كان تفسيرها كما زعموا فلماذا قاتل رسول الله ﷺ المشركين والله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[الأنفال: ٣٩]، والفتنة هنا الشرك.

فَصْلٌ فِي أَنْوَاعِ الشِّرْكِ

١٩١- وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكٌ أَصْغَرُ ... وَضِدُّهُ وَهْوَ الَّذِي لاَ يُغْفَرُ

١٩٢- فَالأَصْغَرُ: الرِّيَاءُ، وَالتَّصَنُّعُ ... لِلْخَلْقِ، وَالسُّمْعَةُ مِمَّنْ يَسْمَعُ

١٩٣- وَنِسْبَةُ الشَّيْءِ إِلَى الأَسْبَابِ ... مُنْخَرِطٌ فِي سِلْكِ هَذَا البَابِ

١٩٤- نَحْوُ: «أَصَبْتُ المَالَ بِالتَّكَسُّبِ ... أَنَّى لِيَ الثَّرْوَةُ لَوْلاَ تَعَبِي؟!»

١٩٥- وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُ: «لَوْ كَانَ كَذَا ... كَانَ هَكَذَا، وَلَمْ يَكُنْ كَذَا»

١٩٦- وَالحَلْفُ مِن ذَاكَ وَلَوْ بِمُحْتَرَمْ ... شَرْعًا، وَكُفْرٌ إِنْ يَكُنْ بِكَ الصَّنَمْ

١٩٧- فَالحَلْفُ مُطْلَقٌ بِغَيْرِ اللهِ ... شِرْكٌ بِلاَ شَكٍّ وَلاَ اشْتِبَاهِ

١٩٨- وَالأَكْبَرُ: المُحْبِطُ لِلْأَعْمَالِ ... أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الضَّلاَلِ

١٩٩- يُحْصَرُ فِي ثَلاَثَةٍ أَقْسَامِ ... كُلٌّ يُنَافِي مِلَّةَ الإِسْلاَمِ

٢٠٠- وَهْيَ نَقِيضُ أَضْرُبِ التَّوْحِيدِ ... مُوجِبَةُ الخِزْيِ عَلَى التَّأْبِيدِ

٢٠١- لَجَعْلِهِمْ لِرَبِّهِمْ فِي المُلْكِ ... مُشَارِكًا، وَذَاكَ عَيْنُ الإِفْكِ

٢٠٢- وَالقَوْلُ بِالتَّعْطِيلِ مِنْ ذَا الشِّرْكِ ... مُنْخَرِطٌ أَيْضًا بِذَاكَ السِّلْكِ

٢٠٣- فَاحْكُمْ بِإِشْرَاكِ أُولِي التَّعْطِيلِ ... وَمِثْلِهِمْ أَيْضًا أُولِي التَّمْثِيلِ

٢٠٤- وَإِنْ أَرَدْتَ ثَانِيَ الأَقْسَامِ: ... فَالشِّرْكُ فِي الصِّفَاتِ وَالأَسَامِي

٢٠٥- كَقَوْلِهِ فِيمَنْ لَهُ الكَذِبُ سِمَهْ: ... «لاَزِلْتَ رَحْمَانًا»، عَنَى مُسَيْلَمَهْ

٢٠٦- وَإِنْ أَرَدْتَ ثَالِـثَ الأَقْسَـامِ: فَالشِّـرْكُ فِـي عِبَـادَةِ العَـلاَّمِ

٢٠٧- وَهْـيَ عَقِيـدَةٌ وَقَـوْلٌ وَعَمَـلْ وَالشِّرْكُ مُحْبِطٌ لَهَا كَيْفَ حَصَلْ

٢٠٨- فَالاِعْتِقَادُ الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ مَعْ رَغْبَتِـهِ وَرَهْبَـةٍ كَـذَا الطَّمَـعْ

٢٠٩- وَالتَّـوْبُ وَالخَشْـيَةُ وَالتَّوَكُّلْ مَحَلُّهَـا القَلْبُ كَمَا لَمْ يُشْـكِلْ

٢١٠- وَالقَوْلُ: مُطْلَقُ الدُّعَا، وَالنَّذْرُ وَالفِعْـلُ مِنْـهُ: ذَبْحُـهُ وَالنَّحْـرُ

٢١١- وَالـذُّلُّ بِالرُّكُـوعِ وَالسُّـجُودِ فَهَـذِهِ عِبَـادَةُ المَعْبُـودِ

٢١٢- يَلْزَمُ صَرْفُهَـا إِلَى رَبِّ الوَرَى خَالِصَـةً لَـهُ بِـلاَ شَـكٍّ يُـرَى

٢١٣- وَكُلُّ مَنْ أَشْـرَكَ فِيهَـا مُطْلَقَا فَهْـوَ يَكُـونُ كُفْـرُهُ مُحَقَّقَـا

الشرح

أولًا: المعنى الإجمالي للأبيات:

بعد أن قرّر الناظم توحيد العبادة وذكر بعض أنواع العبادات شرع في هذا الفصل ببيان ضد التوحيد وهو الشرك، وهذا الأسلوب من أنفع أساليب البيان والإيضاح ألا وهو أسلوب التحذير من الشر بعد التقرير الخير.

فبين الناظم أن الشرك على نوعين: أصغر وأكبر، ثم شرع في بيان أنواع الشرك الأصغر فعدّ منها: الرياء، ونسبة الشيء إلى الأسباب، ومنها قول: لو كان كذا، والحلف بغير الله.

ثم انتقل إلى بيان الشرك الأكبر، وأنّه محبطٌ للأعمال، وبيّن أنه على ثلاثة أقسام في

مقابلة أقسام التوحيد.

فالأول: الشرك في الربوبية، ويدخل في هذا القسم تعطيل الصفات أو تمثيلها، كما أنه داخل في القسم الثالث وهو الإشراك في الأسماء والصفات، وذلك لأنهما متلازمين، لذلك يجعلهما بعض العلماء في قسم واحد فيقول: توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العملي.

الثاني: الشرك في أسماء الله وصفاته، وضرب مثالًا بقول من قال لمسيلمة: **لا زلت «رحمانًا»**، أي: أن يسمى غير الله بأسماء مختصة بالله.

الثالث: الشرك في الألوهية والعبادة، ونبَّه هناك أن الشرك في هذا القسم يقع في الاعتقاد والقول والفعل، وضرب على ذلك أمثلة.

فمن أمثلة العبادات القلبية: الخوف والرجاء والرغبة والرهبة والطمع والتوبة والخشية والتوكل.

ومن أمثلة العبادات القولية: مطلق الدعاء والنذر.

ومن أمثلة العبادات الفعلية: الذبح والركوع والسجود.

ثم ختم الأبيات بوجوب صرف جميع العبادات لله تعالى خالصة له بلا شرك، وأن صرف العبادة لغير الله كفرٌ.

ثانيًا: المسائل التفصيلية المتعلقة بالأبيات.

المسألة الأولى: تعريف الشرك الأصغر وحكمه.

أولًا: تعريف الشرك الأصغر، عُرِّف الشرك الأصغر بتعريفات منها:

الأول: ما أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة.

الثاني: هو جميع الأقوال والأفعال التي نهى عنها الشارع مما هو وسيلة إلى الشرك الأكبر.

ثانيًا: حكم الشرك الأصغر:

من حيث الحكم الدنيوي لا يكفر صاحبه فهو مسلم لكنه واقعٌ فيما هو أكبر من الكبائر، ومن حيث الآخرة ففيه خلاف هل يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨]، على قولين:

الأول: أنه داخل في عموم الآية.

الثاني: أنه لا يدخل في عمومها.

وقد جمع بعض أهل العلم بين القولين أنه داخلٌ في عموم الآية من حيث المؤاخذة، أي: ليس تحت المشيئة، ولكنه يفارق الأكبر بأنه لا يخلد صاحبه ولا يحبط الأعمال.

المسألة الثانية: أنواع الشرك الأصغر وأمثلته.

مما ذكره الناظم في الأبيات:

أولًا: الرياء والتصنع للخلق والسمعة، وكلها بمعنى واحد، وهي عمل الأعمال مراعيًا نظر الناس ومدحهم.

والرياء على نوعين:

الأول: أكبر، وهو رياءُ المنافقين، وهو أن يبطن الكفر ويعمل ظاهرًا مراءاةً للناس، وهذا منافي لأصل التوحيد، قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢].

الثاني: أصغر، وهو يسير الرياء، وهو الصادر من المسلم في بعض الأعمال مراءاةً للناس.

من أدلة تحريم الشرك الأصغر وخطره:

١- قول رسول الله ﷺ: « **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: « **الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[١].

٢-وقال رسول الله ﷺ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**»، قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»[٢].

٣- وقال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**»[٣].

٤-وقال ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ مَسَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ**»[٤].

ومن الفوائد المهمة: حكم العبادة إذا خالطها رياء، ولها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون الباعث الأصلي للعبادة مراءاة الناس، فهذا يبطل العبادة.

مثاله: من قام يصلي والباعث الأول والأساس هو مراءاة الناس لا قصد الله تعالى.

---

[١] رواه أحمد (٢٣٦٣٠)، والبغوي في شرح السنة (٤١٣٥)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٥٩١).

[٢] رواه ابن خزيمة في صحيحه (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١).

[٣] رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني.

[٤] رواه أحمد في المسند (٦٨٣٩)، وصححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب (٢٥).

الحالة الثانية: أن يكون الحامل للعبادة في أولها وجه الله ثم يطرد الرياء على العبادة، فالعبادة هنا على نوعين:

النوع الأول: عبادة مبنيٌّ أولها وآخرها كالصلاة فهذه على ضربين:

١- إن دافع الرياء ولم يسكن له فلا يؤثر في العبادة.

٢- إن اطمأن ولم يدافعه فالعبادة باطلة.

النوع الثاني: عبادة لا يبنى أولها على آخرها كأن يتصدق بخمسة ثم خمسة أخرى يرائي فيها، فالأولى مقبولة والثانية باطلة.

الحالة الثالثة: إن طرأ الرياء بعد الانتهاء من العبادة، فهذا لا يؤثر في العبادة ولكن ليحذر مما يستقبل من العبادات.

وإن طرأ مدحٌ له بعد العبادة لم يؤثر ولا يُعدُّ رياءً، قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمد الناس عليه؟ فقال ﷺ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»[١].

وليس من الرياء فرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ**»[٢].

ثانيًا: من أنواع الشرك الأصغر: نسبة النعم لغير الله من الأسباب.

هذا النوع من دقائق الأمور، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[النحل: ٨٣].

---

[١] رواه مسلم (٢٦٤٢)

[٢] رواه أحمد (١١٤)، والترمذي (٢١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٦).

قال مجاهد ﷺ في تفسير الآية: «هو قولُ الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي»[١]، وقال عون بن عبد الله ﷺ: «يقولون لولا فلان لم يكن كذا»[٢]، وقال ابن قتيبة ﷺ: «هذا بشفاعة آلهتنا»[٣].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ: مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٢]، قال ابن عباس ﷺ: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، فإنّ هذا كله به شرك»[٥].

وكون إضافة النعم والأشياء إلى الأسباب شرك من وجهين:

الأول: من جهة الربوبية؛ لأن من أضاف نعمة الخالق إلى المخلوق قد جعله معه شريكًا في الربوبية؛ لأنها إضافة إلى السبب على أنه فاعل.

الثاني: من جهة الألوهية، وذلك أن نسبة النعم إلى غير الله ليس من شكر الله، وترك شكر الله نقصٌ في العبادة.

---

[١] ينظر: جامع البيان للطبري (١٧/ ٢٧٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٥٧٧).

[٢] ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٥/ ٣٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦١).

[٣] غريب القرآن (ص ٢٤٨).

[٤] رواه مسلم (٧١).

[٥] تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٢).

التفصيل في إضافة النعم إلى الأسباب، وهي على أنواع:

النوع الأول: إن أراد به الخبر فهذا لا بأس به.

النوع الثاني: إن أراد الإضافة إلى السبب فهو على حالات:

الأولى: إن كان السبب خفيًّا لا تأثير له إطلاقًا، فهذا شركٌ أكبر.

مثاله: من يضيف نعمة الولد إلى الولي الميت.

الثانية: أن يضيف النعمة إلى سببٍ ظاهرٍ لكن لم يثبت كونه سببًا شرعًا ولا حسًّا، فهذا شركٌ أصغر.

مثاله: من يضيف شفاء نفسه إلى خيط أو قلادة، أو نسبة المطر إلى النجوم على أنها سبب.

النوع الثالث: أن يضيف النعمة إلى سببٍ صحيحٍ شرعًا أو حسًّا، فهذا جائزٌ بشروط:

الأول: ألا يعتقد أن السبب مؤثرٌ بنفسه.

الثاني: ألا يتناسى المنعم.

الثالث: قول: لو كان كذا لكان هكذا.

جاء في استعمال «لو» عدة حالات: منها ما هو محرمٌ، ومنها ما هو شرك أصغر، ومنها ما هو جائزٌ، وتفصيل ذلك أن «لو» على أنواع:

الأولى: «لو» الاعتراضية على الشرع، وهذه محرّمة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾[آل عمران: ١٦٨].

الثانية: «لو» الاعتراضية على الأقدار، وهي محرّمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ ﴾[آل عمران: ١٥٦].

الثالثة: «لو» التحسرية، وهي محرمة، جاء في الحديث: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[١].

الرابعة: «لو» الاحتجاجية بالقدر على المعصية، وهي محرمة، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ١٤٨].

الخامسة: «لو» للتمني، وهي بحسب المتمنّى، كما في حديث: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[٢].

السادسة: «لو» الخبرية المحضة، وهي جائزة، قال رسول الله ﷺ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ**»[٣].

---

[١] رواه مسلم (٢٦٦٤).

[٢] رواه والترمذي (٢٣٢٥)، وصححه الألباني.

[٣] رواه البخاري (٧٢٢٩)، ومسلم (١٢١١).

المسألة الثالثة: تعريف الشرك الأكبر وحكمه.

تعريف الشرك على نوعين:

الأول: يختص بقسمٍ واحدٍ، وهو صرفُ العبادة لغير الله.

الثاني: عام، وهي تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله تعالى.

وأما حكمه: فهو أكبر الكبائر، لا يغفره الله، وهو محبطٌ لجميع الأعمال، مُخلِّدٌ في النار، مُخرجٌ من ملة الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء: ٤٨].

المسألة الرابعة: أقسام الشرك الأكبر وأمثلته.

ينقسم الشرك الأكبر إلى ثلاثة أقسام مقابلة لأقسام التوحيد.

القسم الأول: الشرك في الربوبية، وهو اعتقاد خالق مع الله، أو مدبّر، أو متصرف في الكون، ومن أمثلة ذلك:

أولًا: إنكار وجود الله تعالى.

ثانيًا: القائلون بِقدم العالم.

ثالثًا: من اعتقد بوحدة الوجود.

رابعًا: اعتقاد أنّ للأولياء التصرف في الكون.

خامسًا: اعتقاد منازعٍ لله في شيءٍ من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾[الإسراء: ١١١]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ [الزمر: ٣٨].

ولهذا أدخل الناظم الشرك في الأسماء والصفات في الربوبية، وجعله على قسمين: تمثيل وتعطيل، وسيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

القسم الثاني: الشرك في أسماء الله وصفاته، وهو الإلحاد في أسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

قال نعيم بن حماد رحمه الله: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه تشبيهًا»[١].

فالإلحاد على قسمين: تعطيل وتمثيل.

فالقسم الأول: التمثيل: وهو أن يُمثِّل صفات الله بصفات الخلق، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

القسم الثاني: التعطيل: وهو إنكار إثبات صفات الله وأسمائه، وهذا على نوعين:

أ- كلّي: وهو تعطيل جميع الأسماء والصفات كقول الجهمية.

ب- جزئي: وهو تعطيل بعضها كالمعتزلة ومن شابههم.

---

[١] العلو للعلي الغفار للذهبي (ص ١٧٢).

وكذلك من الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

الأول: أن يثبت لله أسماءً لم يسمِّ الله بها نفسَهُ، كقول النصارى: «الله أب».

الثاني: أن يشتق من هذه الأسماء أسماءً للأصنام كتسمية اللاّت من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

الثالث: أن يسمَّى غيرُ الله بالأسماء التي تختصُّ بالله، كمن أطلق على مسيلمة أنه «رحمن».

القسم الثالث: الشرك في الألوهية.

هو صرف العبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام: ١٥١].

وهذا الذي وقع أكثر الأمم فيه، وأول ظهوره في قوم نوح عليه السلام، فكان نوح عليه السلام أول رسولٍ من الله لمقاومة الشرك، وأول من أدخله في جزيرة العرب عمرو بن عامر الخزاعي، قال رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوائبَ**»[١].

وسبب الوقوع في هذا الشرك:

أولًا: الجهل والغلو في الصالحين.

ثانيًا: ظنّ بعض الناس أن التوحيد المطلوب هو توحيد الربوبية لا توحيد الألوهية.

---

[١] رواه مسلم (٢٨٥٦).

ثالثًا: شبهة الشفاعة.

رابعًا: ظنّ بعض الناس أن الشرك الذي وقع فيه العرب هو في عبادة الأصنام فحسب.

خامسًا: عدم معرفة العبادة.

وهذا الشرك له متعلقاتٌ وأنواع: فهو يتعلق بأعمال القلوب واللسان والجوارح، وضرب الناظم على ذلك الأمثلة.

فالنوع الأول: ما يتعلق بالقلب وذكر منه:

١- **الخوف**: وضابطه هو الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥].

٢- **الرجاء**: وضابطه هو رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٣- **الرغبة**: وهي رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والفرق بينه وبين الرجاء أن الرغبة مصحوبة بعمل كالدعاء.

٤- **الرهبة**: وهي خوف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٥- **التوبة**: وهي الندم والرجوع إلى الله بذل وخضوع، وهي عبادة، فالرجوع إلى غير الله رجوعَ ذُلٍّ وخضوعٍ شركٌ، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١].

٦-**الخشية**: مثل الخوف لكن الخشية خوفٌ مع علم.

٧- **التوكل**: وهو اعتماد القلب، فاعتماد القلب على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شركٌ أكبر، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٢٣].

النوع الثاني: ما يتعلق بالقول، ومن أمثلته:

١- **مطلق الدعاء**، ويدخل فيه الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة، فكل من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شركٌ أكبر.

٢- **النذر**: فالنذر لغير الله شركٌ.

النوع الثالث: ما يتعلق بالفعل، ومن أمثلته:

١- الذبح والنحر: فالذبح تعظيمًا وخضوعًا قاصدًا به غير الله شركٌ.

٢- الركوع والسجود ذُلاً وتعظيمًا لغير الله شركٌ أكبر.

فكل هذه العبادات القولية والفعلية والقلبية يجب صرفها لله خالصةً له وصرفها لغير الله شركٌ.

وهذه الأقسام متلازمة متضمنة كما في أقسام التوحيد[١].

[١] يراجع أعلام السنة المنشورة لحافظ حكمي (ص ٤٠-٤١).

فَصْلٌ فِي شُرُوطِ الإِيمَانِ

٢١٤- وَإِنْ تُـرِدْ شَـرَائِطَ الإِيمَـانِ ... لِكَـيْ تَنَـالَ غَايَـةَ الأَمَـانِ

٢١٥- فَإِنَّهَـا عِشْـرُونَ شَـرْطًا وَافِيَهْ ... نَذْكُرُهَـا مَسْـرُودَةً مُوَالِيَـهْ

٢١٦- حُبُّـكَ للهِ وَمَـنْ وَالاَهُ ... وَالبُغْضُ مَعْ تَـرْكِ الَّذِي عَادَاهُ

٢١٧- وَهِجْرَةُ المَرْءِ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي ... يُصَـدُّ فِيهَـا عَـنْ سَـبِيلِ المِلَّةِ

٢١٨- وَالحُـبُّ للهِ وَلِلرَّسُـولِ ... أَيْ بِاتِّبَـاعِ شَـرْعِهِ المَنْقُـولِ

٢١٩- وَأَنْ يَكُـونَ رَاضِيًـا بِـاللهِ ... رَبًّـا، وَبِالإِسْـلاَمِ دِيـنِ اللهِ

٢٢٠- دِينًـا لَـهُ، وَاللهُ جَـلَّ أَرْسَـلاَ ... نَبِيَّنَـا لَـهُ نَبِيًّـا مُرْسَـلاَ

٢٢١- وَأَنْ يَرَى الكُفْرَ ضَلاَلاً وَرَدَى ... وَأَنْ يَرَى الإِسْـلاَمَ حَقًّا وَهُدَى

٢٢٢- وَهَكَـذَا مَحَبَّـةُ الإِيمَـانِ ... مِنْهَـا، كَـذَا كَرَاهَـةُ الكُفْـرَانِ

٢٢٣- وَأَنْ يَكُـونَ مُؤْمِنًـا ذَا طَاعَـهْ ... قَبْـلَ عَلاَمَـاتِ وُقُوعِ السَّـاعَهْ

٢٢٤- وَقَبْـلَ أَنْ يَحْضُـرَهُ المَنُـونُ ... فَيَسْـتَقِرَّ عِنْـدَهُ اليَقِيـنُ

٢٢٥- وَكَوْنُـهُ مُحَلِّـلاً مُحَرِّمَـا ... لِمَـا أَحَـلَّ شَـرْعُنَا وَحَرَّمَـا

٢٢٦- وَالكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ مِنْ ذَاكَ، وَأَنْ ... يُكَـذِّبَ العَرَّافَ وَالَّـذِي كَهَنْ

الشرح

أولًا: الشرح الإجمالي للأبيات:

تطرق الناظم في هذه الأبيات إلى واجبات الإيمان المشروطة فيه، وهي الأعمال التي شرطت في الإيمان، وهذه الواجبات منها ما لا يصح الإيمان إلا بها، ومنها ما يصح بها لكن تركها يترتب عليه الإثم، وعدّ منها عشرين عملاً.

١- محبة الله تعالى.

٢- محبة من يحب الله.

٣- بغضُ ما يبغضه الله.

٤- ترك من عادى الله مع بغضه.

٥- الهجرة من المكان الذي يمنع فيه القيام بدين الله.

٦، ٧: الحب لله وللرسول باتباع الشريعة.

٨، ٩، ١٠- الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبالرسول نبيًّا.

١١- أن يعتقد أن الكفر ضلالٌ وردى.

١٢- أن يعتقد الإسلامَ حقًّا وهدى.

١٣، ١٤- محبة الإيمان وكراهية الكفر.

١٥، ١٦، ١٧- الدخول في الإيمان والعمل بالطاعات قبل حضور الموت.

١٨- أن يحلل ما أحله الشرع، ويحرم ما حرمه الشرع.

١٩- الكفر بالطاغوت.

٢٠- التكذيب بالعراف والكاهن.

وبعض ما ذكره الناظم يدخل في بعضٍ، لهذا جعل العلماء مرجع الشروط إلى ثمانية: الحب، الصدق، الانقياد، القبول، الإخلاص، العلم، اليقين، والكفر بما يعبد من دون الله.

ثانيا: الشرح التفصيلي للأبيات.

المسألة الأولى: شروط الإيمان.

شروط الإيمان هي واجباته التي يجب أن يعمل بها، وهذه الواجبات على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أعمالٌ هي أصلٌ في الإيمان لا يصح الإيمان إلا بها، كمحبة الله ورسوله، والرضا بالدين والرب والنّبي، ومحبة الأعمال الصالحة، وكراهية الكفر، وتحليل الحلال وتحريم الحرام.

القسم الثاني: أعمالٌ هي واجباتٌ في الإيمان يصح الإيمان بتركها مع الإثم، مثل: عدم الهجرة من بلاد الكفر، موالاة أعداء الله للدنيا، ترك بعض الطاعات الواجبة.

القسم الثالث: أعمالٌ هي مكملات للإيمان، وهي كل ما زاد على الواجب من أعمالٍ نصَّ الشرع على أنها ليست واجبة.

المسألة الثانية: الأعمال التي جعلها شروطًا والتفصيل فيها.

أولًا: محبة الله ﷻ ورسوله والدين الإسلامي والرضا بذلك، فهذا من الشروط التي لا يصح إيمان العبد إلا به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[التوبة: ٢٤]،

وقال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»[١]، وقال ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[٢]، وقال ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٣].

ويلزم على هذه المحبة اتباع الشرع المنقول على رسول الله ﷺ، فالعمل بالواجب واجبٌ، وبالمستحب مستحبٌّ.

ثانيًا: محبة من والى الله ورسوله وبغض وترك من عاداهما.

هذه المحبة واجبةٌ، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[التوبة: ٧١]، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»[٤].

وأمر الله ببغضِ وترك من عادى الله ورسوله فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾[آل عمران: ٢٨].

وأصل معنى الموالاة المحبة، ويترتب عليها النصر، وأصل معنى البراءة البغض، ويترتب عليها ترك النصرة.

وهنا مسألة موالاة الكفار مهمة يغلط فيها بعض الناس، واستغلها خوارج العصر

---

[١] رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

[٢] رواه مسلم (٣٤).

[٣] رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

[٤] رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني.

لتكفير المسلمين، حيث جعلوا كل موالاةٍ كفرًا، بل غلا بعضُهم حتى جعل المعاملات مع الكفار كفر، وهذا غلطٌ كبيرٌ.

والحق الذي لا مرية فيه أن موالاة الكفار على حالتين:

الأولى: موالاةٌ لهم من أجل دنياهم، فهذه محرمة، ويدل عليها قصه حاطب بن أبي بلتعة ﷺ وإنزال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ أَيْدِيَهُمْ﴾[الممتحنة: ١][١].

الثانية: موالاةٌ لهم من أجل دينهم، وهذه كفرية، ويدل عليها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١].

أما التعامل معهم بيعًا وشراءً، ومناكحة للكتابيات، واستئجارهم فهذا جائزٌ بنصِّ القرآن والسنة.

ثالثًا: بغض الكفر واعتقاد أنه ضلالٌ وردى، ويدخل فيه الكفر بالطاغوت، هذا من الأصول الإيمانية وهو بغض الكفر كله، واعتقاد أنه لا خير فيه، وأن يكفر بما يعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[البقرة: ٢٥٦]، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرَّمَ اللهُ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»[٢]، وفي لفظ للإمام أحمد: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى**»[٣].

---

[١] رواه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤).

[٢] تقدم تخريجه.

[٣] المسند (١٥٨٧٥).

وهنا تنبيه: لا يلزم من بغض الكفر محاربة من كفر مطلقًا؛ لأن الكفار على أقسام: محاربٌ يحارب، معاهد ومستأمن وذميّ لا يُحارب ولا يُؤذى.

وهذا ردٌّ على خوارج العصر الذين ما عرفوا الجمعَ بين النصوص بل عملوا بما يوافق أهوائهم.

رابعًا: الهجرة من بلاد الكفر.

الهجرة من بلاد الكفر على قسمين:

القسم الأول: هجرة واجبة، وهي عندما لا يستطيع المسلم إظهار دينه.

القسم الثاني: هجرة مستحبة، وهي عندما يستطيع المسلم إظهار دينه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[النساء: ٩٧].

خامسًا: أن يدخل في الإسلام ويعمل بالطاعات قبل الموت وعلامات الساعة، أي: طلوع الشمس من مغربها.

لابد في الإيمان من دخول فيه بالإسلام، وذلك بالنطق بالشهادتين، ثم لابد من أعمال تصدق إيمانه.

لهذا تجدُ النصوص الكثيرة المتضافرة تقرن الأعمال مع الإيمان، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[البقرة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[آل عمران: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

قال زيد بن أسلم ﷺ: «لابد لأهل هذا الدين من أربع: دخول في دعوة الإسلام ولابد من الإيمان، وتصديق بالله والمرسلين أولهم وآخرهم، وبالجنة والنار، والبعث بعد الموت، ولابد من أن تعمل عملا تصدق به إيمانك، ولابد من أن تعلم علما تحسن به عملك»[١].

وترك العمل على ثلاثة من حيث الحكم:

- تركٌ للأعمال يعد تركه مختلفًا فيه بين الكفر ودونه وهي الصلاة.
- تركٌ للأعمال يعد تركه كبيرة وهي الواجبات كالصيام والحج والزكاة وغير ذلك.
- تركٌ للأعمال يعد تركه تركًا للمستحب وهي جميع الأعمال المستحبة.

ولترك العمل صورتان:

الصورة الأولى: الترك الكلي وله حالتان:

الأولى: من نطق الشهادة، ولم يتمكن من العمل فمات فهذا معذورٌ.

الثانية: من نطق بالشهادة وترك الأعمال بالكلية مع زمن الإمكان والقدرة حتى مات، فهذا لا يتصور إسلامه إن وجد.

الصورة الثانية: الترك البعضي، وهو أن يترك بعض الأعمال الواجبة ويأتي ببعض، فهذا عاصٍ مؤمن.

ويشترط للأعمال شروطًا وهي أن يعملها قبل الموت، وقبل خروج الشمس من مغربها.

---

[١] الإيمان لابن أبي شيبة (ص ٤٩).

سادسًا: تحليل ما أحل الله وتحريم ما حرمه.

من الواجبات المتفق عليها أن يعتقد المسلم حلَّ ما أحل الله، وتحريمَ ما حرّم الله، فاعتقاد العكس فيما ظهر من مسائل الدين كفر.

مثاله: أن يعتقد حلّ الزنا والخمر، أو يعتقد حرمة الصلاة والزكاة.

وهنا لا بد من التفريق بين الاستحلال العقدي والعملي، فالاستحلال العقدي أن يعتقد أن ما حرمه الله حلالٌ، والاستحلال العملي أن يعتقد أن ما حرمه الله حرامٌ لكن يعمله.

فالأول هو المناقض للإيمان، والثاني معصيةٌ ليست بناقضٍ للإيمان.

سابعًا: التكذيبُ بالعرّاف والكاهن.

هذا من الواجبات، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[١].

وسؤال العراف والكاهن على حالات:

١- أن يسأله سؤالاً مجردًا دون تصديق، فهذا محرّم، قال ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[٢].

٢- أن يسأله ويصدقه، فهذا كفرٌ.

٣- أن يسأله ليختبره، فهذا لا بأس به لمن عنده معرفة وعلم.

٤- أن يسأله ليظهر عجزه، فهذا قد يكون مستحبًّا أو واجبًا ممن عنده الأهلية.

---

[١] رواه أحمد (٩٥٣٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٨٧).

[٢] رواه مسلم (٢٢٣٠).

المسألة الثالثة: شروط «لا إله إلا الله» التي استقر عليها أمر أهل السنة.

جمع أهل العلم شروط «لا إله إلا الله» بعد تتبع النصوص بالاستقراء لها، وحصروها في ثمانية شروط، وهي كما يلي:

الشرط الأول: العلم بمعنى «لا إله إلا الله» نفيا وإثباتا، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[الزخرف: ٨٦]، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[١].

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك، قال رسول الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٢]، وقال ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»[٣].

الشرط الثالث: الانقياد لها ولما دلت عليه ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾[لقمان: ٢٢].

الشرط الرابع: القبول لها ولما تضمنته وتقتضيه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[الصافات: ٣٥].

الشرط الخامس: الإخلاص فيها، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾[الزمر: ٣]، وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»[٤].

---

[١] رواه مسلم (٢٦).

[٢] تقدم تخريجه.

[٣] رواه مسلم (٣١).

[٤] تقدم تخريجه.

الشرط السادس: الصدق فيها بالقلب واللسان، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت: ٢ – ٣]، وقال ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»[١].

الشرط السابع: المحبة لها ولما تقتضيه ولأهلها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرَّمَ اللهُ مَالَهُ وَدَمَهُ**»[٢].

---

[١] تقدم تخريجه.

[٢] تقدم تخريجه.

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ نَصْرَ الدِّينِ وَاجِبٌ

٢٢٧- هَذَا، وَنَصْرُ الدِّينِ فَرْضٌ بِاليَدِ ... ثُـمَّ اللِّسَـانِ ثُـمَّ بِالمُعْتَقَـدِ

٢٢٨- وَمَـا وَرَاءِ هَـذِهِ الأَرْكَانِ ... حَبَّـةُ خَـرْدَلٍ مِـنَ الإِيمَـانِ

٢٢٩- فَنَصْـرُهُ إِنْ عِيـقَ بِالقِتَـالِ ... فَبِالدُّعَـا مِنْـهُ وَالابْتِهَـالِ

٢٣٠- فَيَـا إِلَـهِ الأَرْضِ وَالسَّـمَاءِ ... يَـا مَالِـكَ المِنَّـةِ وَالنَّعْمَـاءِ

٢٣١- نَدْعُـوكَ رَبَّنَـا بِأَنَّـا نَشْـهَدُ ... بِأَنَّـكَ اللهُ الإِلَـهُ الأَحَـدُ

٢٣٢- وَأَنَّ كُلَّ مَـا سِـوَاكَ بَاطِـلُ ... عَبْـدٌ فَقِيـرٌ لَـكَ، فَـانٍ زَائِـلُ

٢٣٣- يَـا حَـيُّ يَـا قَيُّـومُ كُـنْ مُؤَيِّدَا ... بِالنَّصْـرِ سُـنَّةَ النَّبِـيِّ أَحْمَـدَا

٢٣٤- وَنَاصِـرَ السُّـنَّةِ وَالقُـرْآنِ ... وَأَنْ تُعِـزَّ عَسْـكَرَ الإِيمَـانِ

٢٣٥- فَهَـذِهِ «جَوْهَـرَةُ التَّوْحِيـدِ» ... تَمَّـتْ بِقَـوْلٍ مُوجَـزٍ مُفِيـدِ

٢٣٦- فَالحَمْـدُ للهِ الَّـذِي سَـهَّلَهَا ... وَإِنَّنِـي أَرْجُـوهُ أَنْ يَقْبَلَهَـا

٢٣٧- وَكَوْنَهَـا خَالِصَـةً لِوَجْهِـهِ ... مُوجِبَـةً رِضْوَانَـهُ مَـعْ عَفْـوِهِ

٢٣٨- ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السَّرْمَدِي ... عَلَى الرَّسُولِ المُجْتَبَى مُحَمَّدِ

٢٣٩- وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ الكِـرَامِ ... وَتَابِعِيهِـمُ إِلَـى القِيَـامِ

الشرح

أولا: المعنى الإجمالي للأبيات.

قبل ختم الناظم هذه المنظومة بيّن وجوب نصرة الدين ودرجاته، وأنها تكون باليد ثم باللسان ثم بالقلب، وهذا أضعف الإيمان، ثم دعا الله بأسمائه وصفاته أن ينصر القرآن والسنة وحملة الشريعة.

ثم في الختام بيّن ختمه للمنظومة الموسومة بـ «جوهرة التوحيد» التي كانت موجزةً مفيدةً، وحمد الله الذي سهلها، ورجى قبولها من الله، ثم ختم بالصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه ومن تبعهم إلى قيام الساعة.

ثانيًا: تفصيل ما يتعلق بهذه الأبيات في مسألة واحدة.

وهي وجوب نصر دين الله وضوابط في ذلك.

مناصرة دين الله واجبة، وقد مدح الله ناصري دينه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[الحجرات: ١٥]، وذم من يخذل دينه كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[١].

ونصر الدين يكون على درجات على قدر الاستطاعة، كما قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[٢].

---

[١] رواه أبو داود (٣٤٦٢)، وصححه الألباني.

[٢] رواه مسلم (٤٩).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[١]، وقال ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»[٢].

فمن مجموع هذه الأدلة يتبين ما يلي:

أولًا: أن نصر دين الله واجبٌ.

ثانيًا: أن نصرة دين الله على درجات: الأولى باليد، فمن لم يستطع فباللسان، فمن لم يستطع فبالقلب.

ثالثًا: أن المجاهَدَ هم أهل الكفر وأهل البدع.

رابعًا: أن الجهاد باليد يكون على أنواع:

- جهاد الكفار المحاربين تحت راية ولي الأمر.
- جهاد المفسدين وأهل البدع بمنع منكرهم وبدعهم وإفسادهم، وهذا في حق من له سلطة عليهم.

خامسًا: أن الجهاد بالمال يُعدُّ جهادًا يعدل جهاد اليد.

سادسًا: أن من الجهاد ونصرة الدين الرد على شبهات أهل الكفر وأهل البدع وأهل الشهوات بالعلم الشرعي.

---

[١] رواه مسلم (٥٠).

[٢] رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، وصححه الألباني.

سابعًا: أن من صور نصرة الدين الدعاء له ولأهله بالنصر.

ثامنًا: أن من أنواع الجهاد ونصرة الدين إنكار ما خالف الدين بالقلب.

تاسعًا: أن من نصرة الإسلام نصرة أهله المناصرين له، إما بالسنان أو باللسان أو بالمال على حسب القدرة والطاقة.

عاشرًا: أنه يجب لمن أراد نصر الدين أن يراعي المفاسد والمصالح، فإن ترتب على نصرة الدين مفسدة على الدين فدفع المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وإن ترتب على نصر الدين إزالة مفسدة وجلب مفسدة أكبر، فالواجب تقديم أدنى المفسدتين.

الحادي عشر: أن نصرة الدين على نوعين:

الأولى: نصرة خاصة في جزئيات معينة، فهذا يشترك فيه كثير من الناس لكن لا بد من العلم والصبر والحكمة ومراعاة المصالح والمفاسد.

الثانية: نصرة عامة، وهذا مرده للعلماء والأمراء.

وبهذا نكون قد انتهينا من مدارسة هذه المنظومة، وأسأل الله أن يجعل ما كتبناه ودرسناه نافعًا لنا مقبولًا عند ربنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحتويات

مقدمة في المؤلِّف والمؤلَّف ٧
أولًا: ترجمة المؤلِّف..... ٧
ثانيًا: نبذة عن المؤلَّف..... ٨
مقدمة الناظم ١٠
أولًا: المفردات الغريبة: ١٠
ثانيا: المعنى الإجمالي للأبيات: ١١
ثالثًا: المسائل المتعلقة بالأبيات: ١١
الأولى: وجوب تعلم عقيدة الإيمان والتوحيد والعمل بها. ١١
الثانية: بيان القرآن والسنة للتوحيد بيانًا واضحًا. ١٣
الثالثة: أسباب انحراف كثير من الناس في حقيقة التوحيد وسبب اندراسه..... ١٤
المسألة الرابعة: وجوب التمسك بما كان عليه السلف الصالح..... ١٦
بَابٌ فِي الإيمَانِ وَالإِسْلاَمِ والإِحْسَانِ ١٩
أولًا: شرح غريب الألفاظ: ٢٠
ثانيًا: المعنى الإجمالي للأبيات: ٢٠
ثالثًا: المسائل المتعلقة بالأبيات: ٢١
المسألة الأولى: عقيدة أهل السنة في تعريف الإيمان. ٢١
المسألة الثانية: بيان معنى شهادة أن لا إله إلا الله وفضلها وأركانها وشروطها. .. ٢٣

المسألة الثالثة: بيان شهادة أن محمدًا رسول الله وفضلها ومقتضاها. ٢٧
المسألة الرابعة: بيان أركان الإسلام العملية على سبيل الإجمال. ٢٨
المسألة الخامسة: بيان أركان الإيمان على سبيل الإجمال. ٢٩
المسألة السادسة: بيان مرتبة الإحسان وفضلها. ٣٠
بَابٌ فِي أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ ٣٢
أولًا: غريب الألفاظ: ٣٢
ثانيا: المعنى الإجمالي للأبيات: ٣٢
ثالثا: المسائل المتعلقة بهذه الأبيات: ٣٣
المسألة الأولى: أنواع التوحيد الثلاثة وأدلتها. ٣٣
تنبيه على بعض الأخطاء في تقسيم التوحيد. ٣٤
المسألة الثانية: شبهة منكري تقسيم التوحيد والرد عليهم. ٣٥
المسألة الثالثة: العلاقة بين أنواع التوحيد. ٣٧
المسألة الرابعة: التعريف بتوحيد الربوبية، وأدلته. ٣٨
تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ٤٢
أولًا: معاني الغريب. ٤٣
ثانيًا: المعنى الإجمالي للأبيات. ٤٣
ثالثًا: المسائل المتعلقة بهذه الأبيات. ٤٤
المسألة الأولى: تعريف توحيد الأسماء والصفات. ٤٤
المسألة الثانية: وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته وخطر الإلحاد فيها. ٤٤

المسألة الثالثة: خطر الإلحاد في أسماء الله وصفاته..... ٤٥
المسألة الرابعة: قواعد وضوابط أهل السنة في إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى. ٤٦
المسألة الخامسة: جملة من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي ذكرها الناظم. .. ٤٨
الإيمَانُ بِالكُتُب المُنزَّلَة وَأَنَّهَا كَلامُ الله ٥٤
أولًا: الغريب..... ٥٥
ثانيا: المعنى الإجمالي للأبيات: ٥٥
ثالثا: المسائل على وجه التفصيل..... ٥٦
المسألة الأولى: الإيمان بالكتب ركنٌ من أركان الدين. ٥٦
المسألة الثانية: جميع الكتب المنزلة هي من كلام الله ﷻ. ٥٦
المسألة الثالثة: خصائص القرآن الكريم. ٥٧
المسألة الرابعة: القرآن كلام الله غير مخلوق..... ٥٨
المسألة الخامسة: ترتيب آيات وسور المصحف..... ٦٠
إِثْبَات العُلُوّ وَالاسْتِوَاء ٦٢
أولًا: المعنى الإجمالي للأبيات. ٦٢
ثانيًا: المسائل على وجه التفصيل: ٦٣
المسألة الأولى: وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه وأنه لا يُفسَّرُ بالاستيلاء..... ٦٣
المسألة الثانية: إثبات صفة العلو لله تعالى. ٦٦
إِثْبَات الصِّفَات للهِ تَعَالى..... ٧٠

أولًا: المعنى الإجمالي للأبيات. ٧٠
ثانيًا: المسائل المتعلقة بهذه الأبيات: ٧١
المسألة الأولى: في كون صفات الله تقتضي التشبيه..... ٧١
المسألة الثانية: الضابط العام في إثبات صفات الله تعالى..... ٧٣
المسألة الثالثة: إثبات جملة من الصفات الواردة في الأبيات..... ٧٣
جملة من كلام أئمة الدين في الصفات. ٧٥
المسألة الرابعة: حكم من شبه الصفات أو عطلها. ٧٦
المسألة الخامسة: رؤية الله في الدار الآخرة..... ٧٧
[الإيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَر]..... ٧٩
أولًا: معنى الكلمات: ٧٩
ثانيًا: المعنى الإجمالي للأبيات: ٧٩
ثالثًا: مسائل المتعلقة بالأبيات: ٨٠
المسألة الأولى: تعريف القضاء والقدر شرعًا..... ٨٠
المسألة الثانية: الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان..... ٨٠
المسألة الثالثة: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر..... ٨١
تنبيه على مسألة الفرق بين الإرادتين: ٨٢
المسألة الرابعة: أنه لا تعارض بين إثبات مشيئة الله وخلقه لأفعال العباد وبين كون العبد فاعلاً بمشيئته..... ٨٣
المسألة الخامسة: الهداية والضلال بيد الله ﷻ..... ٨٤

المسألة السادسة: مراتب القضاء والقدر ٨٥
[الإيمَانُ بِالرُّسُل] ٨٦
أولا: معنى المفردات. ٨٧
ثانيًا: المعنى الإجمالي. ٨٨
ثالثًا: المسائل التفصيلية على هذه الأبيات. ٨٨
المسألة الأولى: التعريف بالرسول والنبي. ٨٨
المسألة الثانية: الإيمان بالرسل ركنٌ من أركان الإيمان. ٨٨
المسألة الثالثة: الحكمة من بعث الرسل إقامة الحجة. ٨٩
المسألة الرابعة: النبوة هبةٌ من الله وصفات لازمة في الرسل. ٨٩
المسألة الخامسة: الإيمان بالنبي محمد ﷺ ٩١
المسألة السادسة: تأييد الله رسلَهُ بالمعجزات. ٩٢
[عقيدة أهل السنة في زوجات النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم] ٩٥
أولا: معنى الكلمات. ٩٥
ثانيًا: المعنى الإجمالي: ٩٦
ثالثًا: شرح الأبيات على وجه التفصيل. ٩٦
المسألة الأولى: عقيده أهل السنة في زوجات النبي ﷺ. ٩٦
المسألة الثانية: عقيدة أهل السنة في الصحابة. ٩٩
المسألة الثالثة: خير القرون والارتباط بالأئمة. ١٠٠

الإيمَانُ بِاليومِ الآخِر ١٠٥
أولا: الشرح الإجمالي: ١٠٧
ثانيا: المسائل المتعلقة بهذه الأبيات: ١٠٧
المسألة الأولى: الموت حق..... ١٠٧
المسألة الثانية: ما يتعلق بالروح. ١٠٨
المسألة الثالثة: عذاب القبر ونعيمه. ١٠٨
المسألة الرابعة: فتنة القبور. ١٠٩
المسألة الخامسة: قيام الساعة. ١١٠
المسألة السادسة: البعث ١١١
المسألة السابعة: موقف الحشر..... ١١٢
المسألة الثامنة: الحساب..... ١١٢
المسألة التاسعة: تطاير الصحف..... ١١٣
المسألة العاشرة: الميزان..... ١١٣
المسألة الحادية عشر: الصراط. ١١٤
المسألة الثانية عشر: الجنة والنار. ١١٤
[أَقْسَامُ الذُّنُوب] ١١٦
المسائل التفصيلية في هذه الأبيات: ١١٧
المسألة الأولى: أن المؤمن العاصي لا يخلد في النار..... ١١٧
المسألة الثانية: الذنوب تنقسم إلى ثلاثة أقسامٍ في الجملة: ١١٨

المسألة الثالثة: وجوب التوبة وشروطها..... ١١٩
[رزق الله وَالتَّوكُل عليه وَالتَّمَسُّك بِسُنَّة رسوله]..... ١٢١
أولًا: الشرح الإجمالي للأبيات: ١٢١
ثانيًا: المسائل التفصيلية للأبيات: ١٢٢
المسألة الأولى: رزق الله لخلقه. ١٢٢
المسألة الثانية: التوكل والأخذ بالأسباب..... ١٢٢
المسألة الثالثة: وجوب قبول ما جاء به الرسول. ١٢٣
فَصْلٌ فِي وَاجِبِ التَّوْحِيدِ..... ١٢٥
أولا: المعنى الإجمالي للأبيات: ١٢٦
ثانيا: المسائل التفصيلية المتعلقة بهذه الأبيات: ١٢٧
المسألة الأولى: تعريف توحيد العبادة..... ١٢٧
المسألة الثانية: أهمية التوحيد. ١٢٩
المسألة الثالثة: أنواع العبادات التي ذكرها الناظم. ١٣١
المسألة الرابعة: معنى كلمة التوحيد وبعض الأخطاء في فهم معناها. ١٣٨
فَصْلٌ فِي أَنْوَاعِ الشِّرْكِ..... ١٤١
أولًا: المعنى الإجمالي للأبيات: ١٤٢
ثانيًا: المسائل التفصيلية المتعلقة بالأبيات..... ١٤٣
المسألة الأولى: تعريف الشرك الأصغر وحكمه..... ١٤٣
المسألة الثانية: أنواع الشرك الأصغر وأمثلته..... ١٤٤

التفصيل في إضافة النعم إلى الأسباب ١٤٨
المسألة الثالثة: تعريف الشرك الأكبر وحكمه. ١٥٠
المسألة الرابعة: أقسام الشرك الأكبر وأمثلته. ١٥٠
فَصْلٌ فِي شُرُوطِ الإِيمَانِ ١٥٥
أولًا: الشرح الإجمالي للأبيات: ١٥٦
ثانيا: الشرح التفصيلي للأبيات. ١٥٧
المسألة الأولى: شروط الإيمان. ١٥٧
المسألة الثانية: الأعمال التي جعلها شروطًا والتفصيل فيها. ١٥٧
المسألة الثالثة: شروط «لا إله إلا الله» التي استقر عليها أمر أهل السنة. ١٦٣
فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ نَصْرَ الدِّينِ وَاجِبٌ..... ١٦٥
أولا: المعنى الإجمالي للأبيات. ١٦٦
ثانيًا: تفصيل ما يتعلق بهذه الأبيات في مسألة واحدة. ١٦٦

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية